الشرح الميسر
للفقه الأكبر

المنسوب لأبي حنيفة
رواية حماد بن أبي حنيفة عن أبيه

تأليف: د. محمد بن عبد الرحمن الخميس



دار إيلاف الدولية للنشر والتوزيع

الشرح الميسر

للفقه الأكبر

بسم الله الرحمن الرحيم

قام بطباعته

دار إيلاف الدولية للنشر والتوزيع

المركز الرئيسي : الكويت - الجهراء - مجمع كاظمة التجاري

ص .ب :١٥١٣ الرمز البريدي 01017

هاتف :٤٥٥٧٥٥٩ - فاكس ٤٥٥٧٥٥٨

فرع حولي : شارع الحسن البصري ، ق٣٧ قسيمة ١٠ ، محل رقم ٣

تلفاكس :٢٦٤١٧٩٧

البريد الإلكتروني : elafco @ . com

الإنترنت : www:elafco . com

الشرح الميسر
للفقه الأكبر

المنسوب لأبي حنيفة

رواية حماد بن أبي حنيفه عن أبيه



الناشر

دار إيلاف الدولية للنشر والتوزيع

مقدمة الناشر

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، صلى الله عليه وسلم .

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ (١٠٢)﴾ .

[آل عمران :١٠٢]

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا (١)﴾

[النساء :١] .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا (٧١)﴾

[الأحزاب :٧٠ ـ ٧١] .

اما بعد:

إسهاماً من «**دار إيلاف الدولية للنشر والتوزيع**» في نشر عقيدة أهل السنة والجماعة، حيث قامت اخيراً بطبع كتاب **{جمع الفنون في شرح جملة متون لعقائد أهل السنة على المذاهب الاربعة}** تأليف الشيخ د. **محمد بن عبدالرحمن الخميس** ، وتيسيراً لتعسيم المنفعه وتسهيلها، فقد رأت الدار تجزئة هذا الكتاب

على حسب المتون الواردة فيه، وطباعتها منفصلة على شكل رسائل صغيرة تشمل هذه الرسائل معتقد أهل السنة والجماعة على المذاهب الأربعة.

والرسالة التي بين يديك هي احدى تلك الرسائل ، علماً بأن حقوق طبع هذا الكتاب بمجمله، و الرسائل التي سوف تطبع تباعاً... محفوظة لدار إيلاف الدولية للنشر والتوزيع.

ونسأل الله سبحانه وتعالى أن ينفع بهذا الكتاب جميع المسلمين في تصحيح مفاهيم وكشف الشبهات حول العقيدة الإسلامية.

ونسأله تبارك وتعالى أن يرفع به الجهل عن أمة الإسلام ليكون الإنسان على بينه من دينه.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الناشر

المقدمة

إن الحمدلله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل لهومن يضلل فلا هادي له، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لاشريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. وبعد. . .

فإن كتاب (الفقه الأكبر) للإمام أبي حنيفة في مسائل أصول الدين، من الكتب المشتهرة التي اعتنى بها كثير من علماء الحنفية، شرحاً وتدريساً وغير ذلك، واهتم به غيرهم من العلماء بعد أن ذاع صيته، ولم أقف على من شرحه شرحاً موافقاً لمذهب السلف، حيث إن عامة الشراح قد شرحوه بطريقة توافق طريقة المتكلمين، وقد اعتمد عليه علماء الحنفية وقرروا أنه عقيدة الإمام، ويدل على ذلك كثرة شروحه، ثم إن هذاا لكتاب معول عليه عند الماتريدية ومع ذلك خالفوا بعض مسائله، كما في عصمة الأنبياء وبعض مسائل الصفات وغيرها، فهو حجة عليهم ثم إن هذا الكتاب في جملته يوافق ما قرره الطحاوي في بيان عقيدة أهل السنة والجماعة المشهور المنسوب إلى أبي حنيفة وأبي يوسف ومحمد بن الحسن رحمهم الله تعالى.

،وراوي هذا الكتاب هو حماد بن أبي حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي، فهو ابن المصنف رحمه الله، وهو أدرى بمذهب أبيه من غيره، قال عنه ابن خلكان (إنه كان على مذهب أبيه، وإنه كان صالحاً خيراً) وقد ضعفه بعض المحدثين في الرواية، ولكننا لانقدح في روايته لهذا الكتاب لملاصقته لأبيه، ولأن العلماء تناقلوا هذا الكتاب، فما رأينا فيه من مخالفة لما قرره الطحاوي في عقيدته، جزمنا أنه أدخل فيه وليس من كلام الإمام مثل ماجاء: (أن الله كلم موسى بكلامه الذي هو له صفة في الأزل، وهو يتكلم بلا آلة ولا حرف) (ولفظنا بالقرآن مخلوق)

(ولايكون بينه وبين خلقه مسافة) فكل هذا مما أحدثه المتأخرون بعد أبي حنيفة ولايعرف هذا في كلام السلف، فمنها ما يرجع إلى أن كلام الله معنى نفسي وأن القرآن الذي نقرؤه عبارة عن ذلك المعنى النفسي، وهذا مذهب أحدثه ابن كلاب، ومنها مايرجع إلى بدعة التلفظ بالقرآن، وأول من أحدثها الكرابيسي في زمن الإمام أحمد بن حنبل، ومنها ما يرجع إلى شروط مخترعة، توجب امتناع الرؤية، وهذا مما أحدثه أهل الكلام، من الأشعرية والماتريدية فكل هذا مما أدخل على هذا الكتاب، وما عدا ذلك فيظهر أنه كلام الإمام رحمه الله، أو من تخريج ولده حماد على كلامه.

ومنهجي في إخراج هذاالكتاب ما يلي:

١ ــ وضع عناوين جانبية تقسم الكتاب إلى فقرات.

٢ ــ وضع المتن في أعلى الصفحة.

٣ ــ شرح الكلمات الغامضة.

٤ ــ شرح المتن إجمالاً بطريقة مبسطة موافقة لمذهب السلف.

٥ ــ عزو الآيات إلى مواضعها في القرآن.

٦ ــ تخريج الأحاديث النبوية مع بيان درجتها ما أمكن.

٧ ــ عمل خلاصة لكل فقرة مما يسهل الاستفادة منها.

٨ ــ وضع أسئلة للمناقشة وذلك لبيان مدى الاستفادة منها، ولكي يكون كتاباً مدرسياً يسهل تناوله للطلاب.

وما كان فيه من حق فمن الله، وما كان سوى ذلك فمن نفسي واستغفر الله من كل ذنب.

والله من وراء القصد وهو حسبنا ونعم الوكيل.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

د. محمد عبدالرحمن الخميس

ترجمة الإمام أبي حنيفة

اسمه وكنيته ولقبه:

هـو أبو حنيفـة النعمان بن ثـابت بن زُوطَي - بضم الـزاي وفتـح الطاء - الخزاز الكوفي.

مولده: ولد سنة ٨٠ هـ بالكوفة في حياة صغار الصحابة.

قال عنه الفضيل بن عياض (كان أبو حنيفـة رجلا فقيهـاً معروفـاً بالفقه، مشهوراً بالـورع، واسع المـال، معروفـاً بالأفضـال على كـل من يطيف به، صبوراً على تعليم العلم بالليل والنهار، كثير الصمت، قليـل الكلام، حتى ترد مسألة في الحلال أو الحرام، فكان يحسن أن يدل عـلى الحق هاربا من السلطان)[١].

وقـال عنه ابن عبـد البر: (كـان في الفقـه إمـامـاً، حسن الـرأي والقيـاس، لطيف الاستخـراج جيد الـذهن، حاضر الفهم، ذكيـاً ورعـاً عاقلاً)[٢].

وقال عنه شيخ الإسلام: (إن أبـا حنيفة وإن كـان الناس خـالفوه في أشياء، وأنكروها عليه فلا يستريب أحد في فقهه وفهمه وعلمه)[٣].

وقـال عنه الـذهبي: (كان إمـاما ورعـاً عالمـاً متعبداً كبـير الشـأن

(١) تاريخ بغداد (١٣/ ٣٤٠).

(٢) الاستغناء (١/ ٥٧٢).

(٣) منهاج السنة (٢/ ٥٧٢).

لايقبل جوائز السلطان[1].

وقد ارتفع شأنه حتى أصبح أحد الأمة الأربعة المتبوعين أصحاب المذاهب المنتشرة.

وفاته: توفي رحمه الله ليلة النصف من شعبان سنة ١٥٠هـ، ودفن في مقابر الخيزران ببغداد، وكان عمره سبعين عاما[2].

---

(١) تذكرة الحفاظ (١٦٨/١).

(٢) الانتقاء (ص١٧١).

بيان أصول الإيمان

أصل التوحيد، ومايصح الاعتقاد عليه
يجب أن يقول: آمنت بالله

اللغة: (أصل) أصل الشيء أساسه الذي يقوم عليه، ومنشأة الذي ينشأ منه.

الشرح: بدأ الإمام أبو حنيفة رحمه الله تعالى ببيان مايجب في باب الاعتقاد، وما لايكون الاعتقاد صحيحاً إلا به، وأصل وأساس التوحيد، وهو أن يقول الإنسان: «آمنت بالله..» ومعنى التلفظ بذلك أن القائل يقر ويعترف بإيمانه بالله تعالى، وهذا الإيمان له ثلاثة أنواع:

الأول: توحيد الربوبية هو أن يؤمن بأن الله تعالى هو المنفرد بالخلق والرزق والتدبير والتصرف والملك في هذا الكون، قال - تعالى - :
﴿ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴾[1].

وكل الخلق عموماً مقرون بهذا النوع من التوحيد ويسمى توحيد الربوبية، فلارب للخلق إلا الله عز وجل.

النوع الثاني: توحيد الأسماء والصفات، ومعناه الإقرار والاعتراف بأن الله تعالى واحد في أسمائه وصفاته، فنثبت لله تعالى كل ما أثبته لنفسه من الأسماء الحسنى والصفات العلى، التي أثبتها لنفسه في كتابه أو أثبتها له رسوله ﷺ، من غير أن نكيفها بكيفية معينة، ومن غير أن نمثلها بصفات المخلوقين أو نشبه الله بخلقه، ومن غير أن نلحد فيها

---

(١) سورة فاطر الآية(٣).

بتحريف في معناها، أو تأويل يخرجها عن معناها الحقيقي، وذلك كله مع إثبات التنزيه لله تعالى إذ قال في محكم كتابه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١١﴾[1].ففيها التنزيه عن المشابهة مع إثبات الصفات.

النوع الثالث: توحيد العبودية (الألوهية) ويشتمل على الإقرار والاعتراف بأنه تعالى المستحق للعبادة دون سواه، وذلك هو مقتضى شهادة (لا إله إلا الله)، فهي نفي لجميع الآلهة الباطلة، ثم إثبات العبادة لله وحده دون سواه، وكل الآلهة غير الله باطلة. قال الله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ ﴾[2]. وذلك لكونها ليس لها من أمر الربوبية شيء، فيجب الإقرار بوجوب إفراد الله بالعبادة، ثم بعد ذلك تصرف العبادة كلها له وحده دون سواه، من صلاة وزكاة وصوم وحج، ونذر ونحر ورغبة ورهبة وخوف ورجاء وتوكل وغيره، ومن صرف شيئاً من العبادة لغيره سبحانه فقد أشرك.

---

(١) سورة الشورى الآية (١١).

(١) سورة الحج الآية (٦٢).

اللغة: (ملائكة) جمع ملك وهو خلق نوراني لطيف قائم على أمر الله (رسل) جمع رسول من نزل إليه شرع وأمر بتبليغه.

الشرح: ومن أركان الإيمان، الإيمان بالملائكة، خلقوا لعبادة الله والقيام على إنفاذ أمره، وهم متنوعون ولكل منهم وظيفته، فيجب الإيمان بهم إجمالا، ثم يجب الإيمان تفصيلاً بمن ورد فيه نص، كخزنة الجنة، وخزنة النار، ومنكر ونكير، ورقيب وعتيد، والحفظة وغيرهم. فكل هؤلاء يجب الإيمان بهم تفصيلاً.

* ومن أركان الإيمان أيضاً: الإيمان بالكتب التي أنزلها الله تعالى على بعض رسله، وفيها شرع الله تعالى والمواعظ لعباده، فيجب الإيمان بها إجمالاً، وبما ورد به النص منها تفصيلاً، وهي: التوراة والإنجيل، ﴿وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۝٣﴾[1]. والزبور، قال تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا﴾[2] وصحف إبراهيم وموسى، والقرآن، وهو خيرها وخاتمها والمصدق لها والمهيمن عليها، وهو كلام الله تعالى، لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، فيجب الإيمان بكل ذلك.

* ومن أركان الإيمان أيضاً: الإيمان بالرسل، ومعناه الإيمان بأن الله تعالى اختار من الناس رسلاً لإبلاغ شرعه ووحيه، قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ

(١) سورة آل عمران الآية (٣).

(٢) سورة النساء الآية (١٦٣).

﴿يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾(1). وقال عز وجل: ﴿رُّسُلٗا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ﴾(2).

وهؤلاء الرسل هم خير بني آدم على الإطلاق، ومنهم من نعرفه ومنهم من لانعرفه، كما قال عز وجل: ﴿وَرُسُلٗا قَدۡ قَصَصۡنَٰهُمۡ عَلَيۡكَ مِن قَبۡلُ وَرُسُلٗا لَّمۡ نَقۡصُصۡهُمۡ عَلَيۡكَۚ﴾(3). وأول الرسل هو نوح عليه السلام، وآخرهم وخيرهم محمد ﷺ والمذكورون في كتاب الله خمسة وعشرون، نؤمن بهم تفصيلاً، ومن أنكر نبوة أحدهم كفر، ونؤمن بالباقين على وجه الإجمال، ولانفرق بين أحد من رسل الله تعالى، بل نحبهم ونؤمن بهم أجمعين.

---

(1) سورة الحج الآية (75).

(2) سورة النساء الآية (165).

(3) سورة النساء الآية (164).

والبعث بعد الموت، والقدر خيره وشره من الله تعالى

اللغة: (البعث) الإحياء بعد الموت (القدر) المراد منه المقدور والتقدير.

الشرح: ويجب الإيمان بالبعث بعد الموت، وذلك يعني الإيمان بأن الله تعالى يبعث الناس بعد موتهم، أي يحييهم بعد الموت، فيحاسبهم على ما قدموا في الدنيا، ويجازيهم على أعمالهم، والبعث يكون للأرواح وللأجساد معاً، يركب الله الإنسان مرة أخرى كما ركبه في أول خلقه، فيحييه وذلك على الله تعالى يسير، قال الله عز وجل في الرد على من استغرب البعث: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَـٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ ۝٣ بَلَىٰ قَـٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّىَ بَنَانَهُۥ ۝٤﴾[1]، وقال تعالى حاكما بكفر من أنكر البعث: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن لَّن يُبْعَثُوا۟ ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ۝٧﴾[2]، فمن أنكر البعث كفر، بل يبعث الله الناس يوم القيامة فيجزيهم بأعمالهم، كما قال عز وجل: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ ۚ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾[3].

---

(١) سورة القيامة الأيتان (٣:٤).

(٢) سورة التغابن الأية (٧).

(٣) سورة المجادلة الأية (٦).

* وأما الإيمان بالقدر فهو من أعظم أركان الإيمان، ويتضمن الإيمان بأربعة أمور:

الأول: الإيمان بالعلم: ومعناه الإيمان بأن الله تعالى علم كل شيء قبل خلقه، وقبل خلق السموات والأرض فلم يخف عليه خافية، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٥﴾ ﴾[1].

وقال عز وجل: ﴿ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ ﴾[2]. قال الإمام الطحاوي رحمه الله في عقيدته: «ولم يخف عليه شيء قبل أن يخلقهم، وعلم ما هم عاملون قبل أن يخلقهم»[3].

الثاني: الإيمان بالكتابة: ومعناه الإيمان بأن الله تعالى كتب كل شيء يكون في هذا الكون قبل خلقه، فكتب الصغير والكبير، ولم يترك شيئاً إلا أحصاه، كما قال عز وجل: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ﴾[4]، وهذا التقدير الأزلي الذي لم يخرج عنه شيء قال الإمام الطحاوي رحمه الله تعالى في عقيدته: «ونؤمن باللوح والقلم، وبجميع ما فيه قد رقم، فلو اجتمع الخلق كلهم على شيء كتبه الله تعالى فيه أنه كائن ليجعلوه غير كائن لم يقدروا عليه ولو اجتمعوا كلهم على شيء لم يكتبه الله تعالى فيه

---

(١) سورة آل عمران الآية (٥).
(٢) سورة يونس الآية (٦١).
(٣) شرح العقيدة الطحاوية (ص٩٥).
(٤) سورة الحديد الآية (٢٢).

ليجعلوه كائناً لم يقدروا عليه، جف القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة»(١).

الثالث: الإرادة: ومعناه الإيمان بأنه لا يكون شيء في هذا الكون إلا بمشيئة الله، فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وأن إرادته ومشيئة نافذة لا تتخلف أبداً، وحتى الخير والشر كله كائن بمشيئة الله تعالى، قال عز وجل: ﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾(٢). وقال الإمام الطحاوي رحمه الله في عقيدته: «وكل شيء يجري بتقديره ومشيئته، ومشيئته تنفذ، لا مشيئة للعباد إلا ما شاء الله، فما شاء لهم كان، وما لم يشأ لم يكن»(٣).

الرابع: الخلق: فكل شيء كائن فالله تعالى هو الذي خلقه وأوجده، وأعمال العباد مخلوقة لله تعالى، الخير والشر، كما قال عز وجل: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾(٤). وقال تبارك وتعالى: ﴿ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ ﴾(٥). وقد خالفت القدرية في هذا وجعلوا الإنسان مريداً للشر خالقاً له دون إرادة الله تعالى وخلقه، فجعلوه خالقاً مع الله عز وجل.

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية (ص٢٣٣ : ٢٣٤).
(٢) سورة التكوير الآية (٢٩).
(٣) شرح العقيدة الطحاوية (ص٩٥).
(٤) سورة الصافات الآية (٩٦).
(٥) سورة الجاثية الآية (٢٣).

والحساب، والميزان

اللغة: (الحساب) مصدر حاسب، أي ناقش وجزى (الميزان) مفعال من وزن، وهو ما يوزن به.

الشرح: ويؤمن أهل السنة بالحساب: فالله تعالى يبعث الناس يوم القيامة، فيحاسبهم بأعمالهم ويجازيهم بها، وهذا من أعظم الأمور التي تكون في يوم القيامة، قال عز وجل: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾[1]، وقال: ﴿فَحَاسَبْنَٰهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَٰهَا عَذَابًا نُّكْرًا ۝٨﴾[2].

ويؤمنون أيضا بالميزان: وهو ميزان عظيم له كفتان حقيقيتان، توزن به أعمال العباد يوم القيامة، فمن رجحت حسناته فقد فاز، ومن رجحت سيئاته فقد خسر، وقال تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾[3]. وقال الطحاوي في (عقيدته): «ونؤمن بالبعث وجزاء الأعمال يوم القيامة والعرض والحساب وقراءة الكتاب والثواب والعقاب والصراط والميزان»[4].

(١) سورة الانشقاق الأيتان (٧: ٨).

(٢) سورة الطلاق الأية (٨).

(٣) سورة الأنبياء الأية (٤٧).

(٤) شرح العقيدة الطحاوية (ص٣٩٦).

والجنة، والنار، وذلك كله حق

اللغة:

الشرح: ومن أعظم الأمور التي يؤمن بها أهل السنة مما يتعلق باليوم الآخر، الجنة والنار، فالجنة دار المتقين الصالحين، ودار الطيبين، فيها النعيم المقيم، وهي دار الثواب والنعمة والرحمة، والنار دار الكافرين والمنافقين والفاسقين، فيها العذاب الأليم، وهي دار العقوبة والنقمة، ليس فيها خير أبداً. والآيات في ذكرهما لا تحصى، منها قوله تعالى: ﴿ يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾ ﴾[1]. وقال: ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ﴾[2]. وقال: ﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ نُزُلًا﴾[3]. وقال عزوجل: ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ﴾[4]. وقال: ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ﴾[5]. فكل ذلك حق يجب الإيمان به، ومن كذب بشيء من ذلك فهو كافر بالله تعالى.

الخلاصة:

أصول الإيمان أن يؤمن الإنسان بالله تعالى وملائكته وكتبه ورسله

---

(١) سورة النساء الآيتان (١٣ : ١٤).

(٢) سورة الفتح الآية (١٧).

(٣) سورة الكهف الآية (١٠٢).

(٤) سورة الزمر الآية (٧٣).

(٥) سورة الزمر الآية (٧١).

واليـوم الآخر بمـا فيه من جنـة ونار وحسـاب وميزان وصراط، والإيمـان بالقدر خيره وشره.

المناقشة:

س١ ـ اذكر ما هي أصول الإيمان؟

س٢ ـ اذكر بعضاً من مشاهد يوم القيامة؟

وحدانية الله تعالى

والله تعالى واحد، لا من طريق العدد، ولكن من طريق أنه لا شريك له، لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، لا يشبه شيئاً من الأشياء من خلقه، ولا يشبهه شيء من خلقه، لم يزل ولا يزال بأسمائه، وصفاته الذاتية والفعلية.

اللغة: (كفوا) الكفء هو النظير والمساوي والند (الذاتية) الصفات اللازمة للذات (الفعلية) المتعلقة بالمشيئة.

الشرح: الله تعالى واحد، ليس بمعنى الواحد الذي هو نصف الاثنين، ولكن بمعنى أنه واحد لا شريك له، لا في ربوبيته، ولا في ألوهيته، ولا في أسمائه وصفاته، وما ورد من اشتراك في اسم أو صفة بين الله تعالى وبين خلقه، فالاشتراك في اللفظ فقط، وذلك نحو: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾[1] وقوله في الإنسان: ﴿فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾[2] فالاشتراك لفظي فقط، وأما حقيقة الاسم والصفة وكيفيتها فإنها تختلف في حق الله عنها في حق المخلوق كاختلاف ذات الله عن ذات المخلوق والله تعالى من صفته أنه ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾[3] فهو متنزه سبحانه عن أن يكون له ولد، ومتنزه عن أن يكون له والد، فإن ذلك يستلزم الحدوث، وهذا متصور في حق

---

(١) سورة النساء الآية (٥٨).

(٢) سورة الإنسان الآية (٢).

(٣) سورة الإخلاص الآيتان (٣: ٤).

المخلوقات، وأما في حقه تعالى فهو مستحيل، والله تعالى لا يُشبِهُ أحداً من خلقه، ولا يشبهه أحد من خلقه، كما قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[1].

بل إنه سبحانه وتعالى أول بلا ابتداء وآخر بلا انتهاء، أول قبل كل شيء وآخر بعد كل شيء. أول وآخر بأسمائه الحسنى، وصفاته العلي، الذاتية منها والفعلية أما الذاتية فهي الصفات اللازمة للذات أولا وآخراً ولا ترتبط بالمشيئة، وذلك كالحياة مثلاً، وأما الفعلية فهي التي ترتبط بالمشيئة فتكون إذا أراد الله أن تكون: كالغضب والرضى، وهي قديمة النوع وإن كانت إحداها مرتبطة بالمشيئة، أما الذاتية فهي قديمة مطلقاً، وتقسيم الصفات إلى ذاتية وفعلية تقسيم مشهور عند أهل السنة والجماعة[2].

(١) سورة الشورى الآية (١١).

(٢) انظر الأسماء والصفات (ص١١٠) والاعتقاد (ص٧٠:٧٢) كلاهما للبيهقي، واجتماع الجيوش الإسلامية لابن القيم (ص٣٠٠) ومجموع الفتاوى (٩٩/٥) (٢٦٨/٦) والعلو للذهبي (ص١٧٤).

الصفات الذاتية والفعلية

أما الذاتية: فالحياة والقدرة والعلم والكلام والسمع والبصر والإرادة، وأما الفعلية فالتخليق والترزيق والإنشاء والإبداع والصنع وغير ذلك من صفات الفعل، لم يزل ولا يزال بصفاته وأسمائه لم يحدث له صفة ولا اسم.

اللغة: (التخليق) خلق الأشياء (الترزيق) رزق الكائنات (الإنشاء) الابتداء (الإبداع) أي على غير مثال سبق.

الشرح: ثم بين رحمه الله بعضا من الصفات الذاتية كصفة الحياة ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ﴾(١) ﴿ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾(٢)، **والعلم لقوله:** ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾(٣) والكلام لقوله: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِى وَبِكَلَٰمِى﴾(٤) وقوله: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾(٥) والقدرة لقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾(٦) والسمع والبصر لقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾(٧). والإرداة لقوله ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ

---

(١) سورة الفرقان الآية (٥٨).
(٢) سورة البقرة الآية (٢٥٥).
(٣) سورة البقرة الآية (٢٥٥).
(٤) سورة الأعراف الآية (١٤٤).
(٥) سوورة النساء الآية (١٦٤).
(٦) سورة البقرة الآية (٢٠).
(٧) سورة النساء الآية (٥٨).

لِلْإِسْلَٰمِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا ... ﴾[1] وذكر بعضاً من الصفات الفعلية مثل التخليق لقوله: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ﴾[2] والترزيق لقوله: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾[3] والانشاء لقوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ﴾[4] ولقوله: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[5] والصنع لقوله: ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ﴾[6] والله تعالى اول بأسمائه وصفاته فلم يحدث له اسم ولا صفة بعد أن لم تكن بل أسماؤه وصفاته قديمة.

الخلاصة:

أن الله تعالى واحد لا شريك له، لا في ذاته، ولا في أفعاله، ولا في أسمائه ولا في صفاته، وهو أول بلا ابتداء، وصفاته كلها أزلية، الذاتية منها والفعلية.

المناقشة:

س ١ ـ ما الدليل على أن الله تعالى أول قبل كل شيء؟
س ٢ ـ هل صفات الله قديمة أم لا؟
س ٣ ـ اذكر ثلاثا من الصفات الذاتية، وثلاثا من الصفات الفعلية.

(١) سورة الأنعام الآية (١٢٥).
(٢) سورة الزمر الآية (٦٢).
(٣) سورة هود الآية (٦).
(٤) سورة المؤمنون الآية (٧٨).
(٥) سورة الأنعام الآية (١٠١).
(٦) سورة النمل الآية (٨٨).

صفات الله أزلية

لم يزل عالماً بعلمه، والعلم صفة في الأزل، وقادراً بقدرته، والقدرة صفة في الأزل، ومتكلماً بكلامه، والكلام صفة في الأزل، وخالقاً بتخليقه، والتخليق صفة في الأزل، وفاعلا بفعله، والفعل صفة في الأزل، والفاعل هو الله تعالى، والفعل صفة في الأزل والمفعول مخلوق، وفعل الله تعالى غير مخلوق.

اللغة: في الأزل) في القدم:

الشرح: إن الله تعالى عليم لا يغيب عنه شيء، وذلك كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَٰلِمُ غَيْبِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾(١) وقال عز وجل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ﴾(٢) وعلمه تعالى صفة لذاته، وهي صفة أزلية قديمة، ليست محدثة بعد أن لم تكن، ومن قال إن الله كان لا يعلم حتى أحدث لنفسه علماً فهو كافر بالله تعالى، إذا جحد صفة ثابتة لله تعالى، ورماه بالنقص.

والله - عز وجل - قادر على كل شيء، كما قال عز وجل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾(٣)، فلا يعجزه شيء كما قال: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَيْءٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾(٤)، وقدرته تعالى صفة ذاتية قديمة في الأزل، وليست محدثة، فمن أنكرها وزعم أن الله تعالى صار

(١) سورة فاطر الآية (٣٨).
(٢) سورة آل عمران الآية (٥).
(٣) سورة البقرة الآية (٢٠).
(٤) سورة فاطر الآية (٤٤).

قادراً بعد أن لم يكن وأحدث لنفسه قدرة بعد أن لم تكن، فهذا كافر بالله تعالى، حيث رمى الله تعالى بالنقص، ونفى صفته الثابتة.

* وكذلك صفة الكلام صفة ذاتية قديمة، فالله تعالى متصف بصفة الكلام من قبل أن يتكلم: قال الله عز وجل: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾(١) وقال: ﴿وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾(٢) فالله تعالى يتكلم بما يشاء وقتما يشاء، لم يزل ولا يزال متكلما، ولا يشبه كلامه كلام البشر، ومن أنكر صفة الكلام لله تعالى فقد كفر.

* ومن صفاته تعالى أنه فاعل بفعله، فالله تعالى إذا أراد أن يفعل شيئاً فعله، وصفة الفعل صفة أزلية قديمة، لم يزل ولا يزال فاعلاً لما يشاء، وذلك كما قال تعالى: ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾(٣)فمن أنكر هذه الصفة لله تعالى فقد كفر، ونفى عن الله صفة ثابتة له كذلك، والصفات فرع عن الذات فهي قديمة قدم الذات والفاعل لكل شيء حقيقة هو الله تعالى، والفعل صفة من صفاته، وأما المفعولات فهي المخلوقات، فهي مخلوقة، ولكن فعل الله غير ملخوق، بل هو من صفاته الأزلية.

* ومن صفاته أنه خالق لكل شيء كما قال: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾(٤) والخلق بمعنى التخليق صفة أزلية قديمة.

---

(١) سورة النساء الآية (١٦٤).

(٢) سورة الأعراف الآية (١٤٣).

(٣) سورة البروج الآية (١٦).

(٤) سورة الزمر الآية (٦٢).

القول في القرآن

وصفاته في الأزل غير محدثة ولا مخلوقة، ومن قال إنها مخلوقة أو محدثة أو وقف أو شك فيهما فهو كافر بالله تعالى. والقرآن كلام الله - تعالى - في المصاحف مكتوب، وفي القلوب محفوظ، وعلى الألسن مقروء وعلى النبي عليه الصلاة والسلام منزل، ولفظنا بالقرآن مخلوق وكتابتنا له مخلوقة، وقراءتنا له مخلوقة، والقرآن غير مخلوق.

الشرح: فمن زعم أن الله تعالى أصبح خالقاً بعد أن لم يكن فهو كافر.

قال الإمام الطحاوي رحمه الله في عقيدته: «ما زال بصفته قديما قبل خلقه، لم يزدد بكونهم شيئاً لم يكن قبلهم من صفاته أزلياً كذلك لا يزال عليها أبديا، ليس بعد خلق الخلق استفاد اسم الخالق، ولا بإحداثه البرية استفاد اسم الباري، له معنى الربوبية ولا مربوب ومعنى الخالق ولا مخلوق، وكما أنه محيي الموتى بعدما أحيا استحق هذا الاسم قبل إحيائهم، كذلك استحق اسم الخالق قبل إنشائهم»[1] فكل صفات الله تعالى أزلية غير محدثة ولا مخلوقة، ومن قال إن صفات الله تعالى محدثة أو مخلوقة، أو توقف في نفي الحدوث عنها، أو شك في أزليتها وقدمها، فهو كافر بالله تعالى.

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية (ص٦٨ : ٨٣).

والقرآن كلام الله تعالى، كما قال عز وجل: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ﴾[1] وقد أجمع أهل الحق على أن هذا القرآن كلام الله تعالى، ومن نفى أنه كلام الله فقد كفر، وهو مكتوب في المصاحف، محفوظ في القلوب، ومقروء على الألسن، ومنزل على النبي عليه الصلاة والسلام كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾[2] وقال عز وجل: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾[3].

ولفظ القارىء بالقرآن هو من فعل العبد، وصوته وحركة لسانه مخلوق، وكتابة الكاتب للقرآن مخلوقة من حيث هي فعل للعبد، وقراءة القارىء مخلوقة من حيث هي فعل للعبد، والقرآن في كل ذلك غير مخلوق، بل هو كلام الله تعالى غير مخلوق ثم قوله «ولفظنا بالقرآن مخلوق..» ليس على طريقة أهل السنة بل على طريقة أهل الكلام وليس من كلام أبي حنيفة رحمه الله لأن مسألة اللفظ إنما حدثت بعد ما قال ابن كلاب بالكلام النفسي ونستر بها بعض الجهمية لأنهم كانوا يريدون به الملفوظ وهو القرآن فانكر عليهم أئمة السنة أمثال الإمام أحمد وغيره سداً للذريعة إلى القول بخلق القرآن، قال الإمام الطحاوي في عقيدته: «وإن القرآن كلام الله، منه بدا بلا كيفية قولاً، وأنزله على رسوله وحيا وصدقه المؤمنون على ذلك حقاً، وأيقنوا أنه كلام الله تعالى بالحقيقة، ليس بمخلوق ككلام البرية، فمن سمعه فزعم أنه كلام

---

(١) سورة التوبة الآية (٦).

(٢) سورة الشعراء الآيات (١٩٢ : ١٩٥).

(٣) سورة الفرقان الآية (١).

البشر، فقد كفر، وقد ذمه الله وعابه وأوعده بسقر حيث قال تعالى ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ﴾ (المدثر ٢٦) فلما أوعد الله بسقر لمن قال: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ﴾ (المدثر ٢٥) علمنا وأيقنا أنه قول خالق البشر، ولا يشبه قول البشر»[1].

(١) شرح العقيدة الطحاوية (ص١٢١ : ١٢٢).

وما ذكره الله تعالى في القرآن حكاية عن موسى وغيره من الأنبياء عليهم السلام، وعن فرعون وإبليس، فإن ذلك كله كلام الله تعالى إخباراً عنهم، وكلام الله تعالى غير مخلوق، وكلام موسى وغيره من المخلوقين، والقرآن كلام الله تعالى فهو قديم لا كلامهم، وسمع موسى عليه السلام كلام الله تعالى، كما في قوله تعالى ﴿وكلم الله موسى تكليما﴾.

الشرح: وكل ذلك ذكره الله تعالى في القرآن، حكاية عن موسى عليه السلام، أو غيره من الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين، من كلام قالوه، أو ما حكاه الله تعالى عن فرعون وإبليس، من جنس قول فرعون: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾[1] او قول إبليس: ﴿ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ﴾[2]، وكذلك كلام الأمم التي كذبت رسلها وما ردوا على رسلهم، كل ذلك مما حكاه الله تعالى إخباراً عنهم، وكلامه تعالى غير مخلوق، أما كلام موسى الذي قال حين قاله، وكلام فرعون وإبليس، وغيرهم من المخلوقات، كل ذلك مخلوق، لأن أفعال العباد مخلوقة، لكن ما حكاه الله تعالى عنهم فإنما هو كلامه، وكلامه غير مخلوق. بقي هل هو قديم أم حادث، فالصواب أن كلامه - تعالى - قديم النوع، حادث الأفراد بمعنى أن أفراده تتجدد لا بمعنى أن أفراده مخلوقة فكثير من أفراد كلامه تعالى لم يتكلم الله بها تعالى حتى الآن، بل

(١) سورة النازعات الآية (٢٤).

(٢) سورة الأعراف الآية (٢٠).

متجدد فيها بعد وبهذا زال كثير من إشكالات المتكلمين فمن زعم أن في القرآن حرفا مخلوقا فقد كفر بالله تعالى.

وقد سمع موسى عليه السلام كلام الله تعالى حين كلمه، سمعه بأذنيه حقيقة، كما قال تعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾[1] وقال: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾[2] فهو كلام حقيقي بصوت وحرف، سمعه موسى حقيقة.

الخلاصة:

إن الله تعالى عالم في الأزل، قادر في الأزل متكلم في الأزل، خالق في الأزل، والقرآن كلام الله غير مخلوق وما حكاه الله في القرآن عن المخلوقين، فإنه كلامه تعالى إخباراً عنهم.

المناقشة:

س١ ـ هل القرآن مخلوق؟ وما حكم من قال ذلك؟

س٢ ـ ما حكاه الله تعالى عن الكفار في كتابه، هل هو كلامه أم لا؟

---

(١) سورة النساء الآية (١٦٤).

(٢) سورة الأعراف الآية (١٤٣).

وقد كان الله تعالى متكلما ولم يكن كلم موسى عليه السلام، وقد كان الله تعالى خالقاً في الأزل ولم يخلق الخلق، فلما كلم الله موسى كلمه بكلامه الذي هو له صفة في الأزل، وصفاته كلها بخلاف صفات المخلوقين، يعلم لا كعلمنا، ويقدر لا كقدرتنا ويرى لا كرؤيتنا.

الشرح: لقد كان الله تعالى متكلما من قبل أن يكلم موسى، وذلك لأن الكلام صفته الأزلية، فهو متكلم بكلام حقيقي ليس ككلام المخلوقين، لم يزل ولا يزال متكلما وقتما يشاء، متكلم قبل أن يكلم موسى وبعد أن كلمه، لم تحدث له صفة الكلام بعد أن لم تكن، ولما كلم موسى عليه السلام كلمه بكلامه الذي هو صفة به في الأزل، وسمعه موسى عليه السلام على الحقيقة.

وهكذا جميع صفاته تعالى أزلية، ولا تشبه صفات المخلوقين، قال تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾(١) فمن زعم أن صفات الله تعالى كصفات المخلوقين، ومن زعم أن الله تعالى يشبه أحداً من خلقه أو يشبهه أحد من خلقه فهو كافر بالله العظيم.

هذا مع العلم أن صفاته تعالى أزلية، وتدل على معان حقيقية، لكن على الكيفية اللائقة بالله تعالى ولا يعلم هذه الكيفية على حقيقتها إلا الله تعالى، فهي مما استأثر الله عز وجل بعلمه.

والله تعالى يعلم كل شيء، الصغير والكبير، الجزئيات والكليات،

(١) سورة الشورى الآية (١١).

كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾[1] وعلمه تعالى علم كامل لا يغيب عنه شيء، مطلق لا تخفى عليه ذرة، بخلاف علم المخلوقين، فإن الله تعالى لا يشبهه شيء من خلقه، فصفته غير صفة المخلوقين والله تعالى قادر، وقدرته مطلقة لا يعجزها شيء، كما قال عز وجل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾[2]، فلا يعجزه شيء سبحانه وتعالى، فقدرته ليست كقدرة المخلوقين.

وهو سبحانه وتعالى يرى كل شيء لا تخفى عليه من أمور خلقه خافية، قال تعالى: ﴿قَالَ لَا تَخَافَآ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾[3]، وصفة الرؤية عند الله تعالى ليست كصفة الرؤية عند المخلوقين، وهي وإن كانت تدل على معنى حقيقي، لكن كيفيتها لا يعرفها إلا الله تعالى. وهكذا كل صفاته تعالى لا يعلم على أي كيفية هي إلا هو سبحانه وتعالى، فهي مما استأثر الله بعلمه.

---

(١) سورة المجادلة الآية (٧).

(٢) سورة البقرة الآية (٢٠).

(٣) سورة طه الآية (٤٦).

ويتكلم لا ككلامنا، ويسمع لا كسمعنا، ونحن نتكلم بالآلات والحروف، والله تعالى يتكلم بلا آلة ولا حروف، والحروف مخلوقة، وكلام الله تعالى غير مخلوق، وهو شيء لا كالأشياء ومعنى الشيء الثابت بلا جسم ولا جوهر ولا عرض ولا حدَّ له ولا ضدَّ له ولا ندَّ له ولا مثل له.

اللغة: (الآلات) الأدوات (جوهر) جوهر الشيء ذاته وحقيقته وهو في الفلسفة ما قام بنفسه ويقابله العرض وهو ما قام بغيره (ضد) ضد الشيء ما يقابله ويناقضه (ند) الند هو المكافىء والنظير.

الشرح: والله تعالى يتكلم لا ككلام البشر بل كلامه على الكيفية اللائقة به سبحانه، ويسمع لا كسمع البشر، بل على ما يليق به عز وجل وأما قوله: «والله تعالى يتكلم بلا آلة ولا حروف والحروف مخلوقة».

فهو من بدع المتكلمين الذين يقولون بخلق القرآن وليس هذا من كلام أبي حنيفة رحمه الله قطعاً لأن بدعة القول بخلق حروف القرآن مبنية على بدعة القول بالكلام النفسي، والقول ببدعة الكلام النفسي لم يكن في زمن أبي حنيفة المتوفى سنة (١٥٠هـ) بل كان في عهد ابن كلاب (٢٤١هـ)، ثم من عقيدة أهل السنة والجماعة أن القرآن بحروفه هو كلام الله تكلم بحروفه وبصوته هو، فكما أن كلامه ليس ككلام خلقه فكذلك صوته ليس كصوت خلقه، ولا يكون الكلام إلا بحرف وصوت وأما قوله ﴿ بلا جسم ولا جوهر ولا عرض.. ﴾ فهذه من ألفاظ المتكلمين وليست من كلام أبي حنيفة وهي ألفاظ مجملة لم يرد نفيها ولا إثباتها فالجواب السكوت عنها.

الخلاصة:

أن الله تعالى يتكلم وقتما يشاء وكيفما يشاء، بلا كيفية، وكلامه تعالى لا يشبه كلام غيره، وهو يتكلم بصوت وحرف، وكلامه غير مخلوق.

المناقشة:

س١ ـ هل هناك كيفية معينة لكلام الله تعالى؟

س٢ ـ هل كلامه تعالى بصوت وحرف أم لا؟

س٣ ـ ما حكم من شبه كلام الله بكلام المخلوقين؟

القول في الصفات

وله يد ووجه ونفس كما ذكره الله تعالى في القرآن، فما ذكره الله تعالى في القرآن من ذكر الوجه واليد والنفس، فهو له صفات بلا كيف، ولا يقال إن يده قدرته أو نعمته لأن فيه إبطال الصفة، وهو قول أهل القدر والاعتزال، ولكن يده صفته بلا كيف، وغضبه ورضاه صفتان من صفات الله تعالى بلا كيف.

اللغة: (إبطال) نقض ونفي.

الشرح: والله تعالى قد أثبت لنفسه في القرآن صفة اليد، كما قال: ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾[1] وصفة الوجه، كما قال: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾[2] وصفة النفس، كما قال: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾[3] فكل هذه الصفات قد ثبتت لله تعالى بلا كيف، فإن الله عز وجل قد أثبت لنفسه الصفة، فوجب علينا أن نثبتها له سبحانه وتعالى، ولم يذكر لنا الكيفية، فوجب علينا أن نسكت عنها إذ هي غيب لا يعلمه إلا الله تعالى، وقد ضلت طوائف من الخلق، فتأولوا صفات الله تعالى بما يخرجها عن حقيقتها، فقالوا إن اليد هي القدرة، أو هي النعمة والإحسان، وقد أنكر أبو حنيفة رحمه الله ذلك، وبين أن في هذا إبطالا للصفة، وأن هذا هو قول القدرية المعتزلة وبين أن صفة اليد صفة حقيقية لله تعالى بلا كيف أي بلا كيفية معلومة.

---

(١) سورة الفتح الآية (١٠).

(٢) سورة القصص الآية (٨٨).

(٣) سورة آل عمران الآية (٢٨).

وبين أن الغضب والرضا كذلك صفتان من صفاته تعالى بلا كيف، قال تعالى مثبتا صفة الغضب: ﴿وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا﴾[1] وقال مثبتاً صفة الرضا: ﴿رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾[2] وهذا النص في منهج أبي حنيفة ومذهبه في الصفات واضح جلي وهو يشمل على:

أ ـ أن كل ما ورد في الكتاب والسنة من صفات الله وأسمائه يجب إثباته بلا تشبيه ولا تعطيل.

ب ـ لا يجوز تأويل صفة بصفة أخرى.

جـ ـ من أول صفة بصفة أخرى فقد حرف وعطل.

الخلاصة:

صفات الله تعالى تقبل وتمرر على ظاهرها دون تأويل بما يخرجها عن حقيقتها، ودون تعطيل لها ودون تكييف لها بكيفية معينة.

المناقشة:

س١ ـ ما هو منهج أهل السنة في صفات الرب عز وجل؟

س٢ ـ ما هي أهم الفرق المنحرفة في باب الأسماء والصفات؟

س٣ ـ ما حكم من أوَّل اليد بالقدرة والغضب بالعقاب وغير ذلك؟

---

(١) سورة النساء الآية (٩٣).

(٢) سورة البينة الآية (٨).

القول في القدر

خلق الله تعالى الأشياء لا من شيء، وكان الله تعالى عالماً في الأزل بالأشياء قبل كونها وهو الذي قدر الأشياء وقضاها، ولا يكون في الدنيا ولا في الآخرة شيء إلا بمشيئته وعلمه وقضائه وقدره، وكتبه في اللوح المحفوظ، ولكن كتبه بالوصف لا بالحكم، والقضاء والقدر والمشيئة صفاته في الأزل بلا كيف، يعلم الله تعالى المعدوم في حال عدمه معدوماً ويعلم أنه كيف يكون إذا أوجده، ويعلم الله الموجود في حال وجوده موجوداً ويعلم أنه كيف فناؤه، ويعلم الله القائم في حال قيامه قائماً وإذا قعد فقد علمه قاعداً في حال قعوده من غير أن يتغير علمه أو يحدث له علم ولكن التغير والاختلاف يحدث عند المخلوقين.

اللغة: (كتبه) كتابته (المعدوم) الشيء غير الكائن.

الشرح: لقد خلق الله تعالى الأشياء من عدم، لا من شيء، والله تعالى يخلق ما يشاء من لا شيء ولا يفتقر إلى شيء، وعلمه تعالى بالأشياء علم أزلي قديم، قبل أن تكون هذه الأشياء وقد سبق الكلام عن العلم الأزلي، وقد قدر سبحانه الأشياء وقضاها وذلك بأنه تعالى علمه ثم كتبها ثم أرادها فأوجدها وخلقها كما سبق بيانه، وكل شيء كائن أو معدوم إنما هو بقضاء الله وقدره، ولا يكون شيء في الدنيا أو في الآخرة إلا بمشيئته تعالى وعلمه، وبقضائه وقدره، فهو تعالى قدر هذه الأشياء وقضاها، وشاء أن تحصل على الكيفية التي علمها، وكتبها في اللوح المحفوظ، وهو سبحانه لم يكتب الأشياء بالحكم فقط أي لم يكتب مثلاً (ليكن زيد مؤمناً) فإن هذا قد يتوهم منه الجبر، إذ أن كل ما حكم الله به فهو كائن لا ريب، وقوله: «كتبه بالوصف لا بالحكم»

فيحتمل والله أعلم أن تكون هذه العبارة منحولة وليست من كلامه رحمه الله، لأن فيها نفياً لمرتبة من مراتب الإيمان بالقدر، وهي مرتبة الخلق.

والقضاء والقدر والمشيئة كلها صفات أزلية بلا كيف، وقد علم الله تعالى الأشياء المعدومة - أي غير الكائنة - علمها وهي معدومة غير كائنة، كيف هي؟ وعلم أن لو أوجدها على أي كيفية سيكون وعلم سبحانه الموجودات في حال كونها موجودة كيف هي؟ ويعلم تعالى كيف يفني كل شيء عندما يقدر فناءه، وهو تعالى يعلم القائم حال كونه قائماً كيف هو؟ ولو أن هذا القائم قعد لعلمه الله تعالى كيف يكون قاعدا حال كونه قاعدا ومن قبل أن يقعد، كل ذلك من غير أن يتغير علمه سبحانه لأنه علم أزلي، ومن غير أن يحدث له علم بعد أن لم يكن، فعلمه تعالى قبل كل شيء غير مخلوق وإنما يكون التغير والاختلاف في المخلوقين، لا في الخالق ولا في صفاته، ويحتمل أن يكون قدر كبير من هذه العبارات من وضع المتكلمين وذلك تنزيها لأبي حنيفة من أن يستعمل كل هذه الاصطلاحات التي لم تكن على عهد السلف.

الخلاصة:

خلق الله الأشياء من عدم، ولا يكون شيء في هذا الكون إلا بإذنه وخلقه.

المناقشة:

س١ ــ مم خلق الله الأشياء؟

س٢ ــ هل يكون شيء بغير إذن الله تعالى؟

س٣ ــ هل يتغير علم الله تعالى؟

ما فطر الله عليه الناس

خلق الله تعالى الخلق سليماً من الكفر والإيمان، ثم خاطبهم، وأمرهم ونهاهم، فكفر من كفر بفعله وإنكاره وجحوده الحق بخذلان الله تعالى إياه، وآمن من آن بفعله وإقراره وتصديقه، بتوفيق الله تعالى إياه ونصرته له، أخرج ذرية آدم من صلبه فجعلهم عقلاء فخاطبهم، وأمرهم بالإيمان ونهاهم عن الكفر فأقروا له بالربوبية، فكان ذلك منهم إيماناً فهم يولدون على تلك الفطرة ومن كفر بعد ذلك فقد بدل وغير، ومن آمن وصدق فقد ثبت عليه وداوم.

اللغة: (سليماً) خالياً (الخذلان) نزع التوفيق والحرمان منه.

الشرح: قول الشيخ بأن الله خلق الخلق سليما من الكفر والإيمان فيه نظر، فإن الله تعالى خلق الناس على الفطرة وعلى الإقرار بالميثاق الأول، وفطرهم على الإقرار بتوحيده، والشعور بأنه تعالى المنفرد بالخلق والملك والرزق والتدبير، وغير ذلك، ثم بعد أن فطرهم على ذلك خاطبهم الله تعالى على ألسنة رسله، وأمرهم بالإيمان والطاعات، ونهاهم عن الكفر والمنكرات فكفر منهم من كفر، بفعله الاختياري، كما قال تعالى: ﴿فَٱسْتَحَبُّواْ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ﴾[1] وبإنكاره وجحوده الحق وكفره بدعوة الرسل، وكان ذلك من خذلان الله لهم، حيث حرمهم من التوفيق فاحتوشتهم الشياطين، واجتالتهم عن دينهم، وكل ذلك منهم بقدر الله تعالى وقضائه ومشيئته.

---

(١) سورة فصلت الآية (١٧).

ومنهم من آمن باختياره بفعله وإقراره وتصديقه، وكان ذلك منه بتوفيق الله تعالى له حيث لم يخذله ولم يدعه للشيطان، ونصره على نفسه وهواه وشيطانه، ومن آمن ومن كفر كلهم لم يخرجوا عن مشيئة الله تعالى كما قال عز وجل: ﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[1] وقد أخرج الله ذرية آدم من صلبة عقلاء حين خلقه، وخاطبهم وأمرهم بالإيمان به وتوحيده، ونهاهم أن يشركوا به، فأقروا له بالربوبية كما قال تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ شَهِدْنَآ ﴾[2]. فكان هذا الإقرار منهم - وهو الميثاق الأول - إيمانا، فولدوا على هذه الفطرة، فمنهم من بدل بعد ذلك وغير بالكفر ومنهم من استجاب لدعوة الرسل وآمن بالله فثبت على الميثاق الأول، وقد جاء في الحديث: «كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه»[3] وكل شيء بقدر الله ومشيئته.

---

(١) سورة التكوير الآية (٢٩).

(٢) سورة الأعراف الآية (١٧٢).

(٣) البخاري (٣/٢٩٠/١٣٨٥) في الجنائز باب ما قيل في أولاد المشركين، ومسلم (٤/٢٠٤٧/٢٦٥٨) في القدر باب معنى كل مولود يولد على الفطرة، كلاهما من حديث أبي سلمة عن أبي هريرة مرفوعاً.

ولم يجبر أحداً من خلقه على الكفر ولا على الإيمان، ولا خلقه* مؤمناً ولا كافراً ولكن خلقهم أشخاصاً، والإيمان والكفر فعل العباد، ويعلم الله تعالى من يكفر في حال كفره كافراً، فإذا آمن بعد ذلك علمه مؤمناً في حال إيمانه وأحبه من غير أن يتغير علمه وصفته، وجميع أفعال العباد من الحركة والسكون كسبهم على الحقيقة، والله تعالى، خالقها، وهي كلها بمشيئته وعلمه وقضائه وقدره.

اللغة: (يجبر) يُكْرِه.

الشرح: لم يكره الله تعالى أحداً من الخلق على الكفر ولا على الإيمان، وإنما خلقهم على الفطرة كما قال تعالى: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾[1] وفي الحديث: «إني خلقت عبادي حنفاء كلهم»[2] ولا تعارض بين كون الإيمان والكفر فعلاً للعباد وكسباً لهم، وبين كون ذلك كله مخلوقاً لله تعالى مقدوراً له، وعلمه تعالى شامل لكل شيء، وهو يعلم الكافر حال كفره، ويعلمه كيف يكون إيمانه حتى قبل أن يؤمن وذلك كله بعلمه تعالى ومشيئته، وبعض هذه العبارات الواردة يحتمل ألا تكون من كلام الإمام رحمه الله، وذلك لتطرقها إلى موضوعات لم يكن السلف يتكلمون فيها بهذا التفصيل في زمانه رحمه الله تعالى.

وكل شيء يحدث فالله تعالى يعلمه من غير أن يتغير علمه، وعلمه أزلي، يعلم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون.

(*) في الأصل (خلقهم).

(١) سورة الروم الآية (٣٠).

(٢) أخرجه مسلم ٢١٩٧/٤ ح٢٨٦٥ في الجنة وصفة نعيمها باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار من حديث مطرف بن عبدالله عن عياض بن حمار مرفوعا.

الخلاصة:

لم يكره الله أحداً من خلقه على الإيمان ولا على الكفر، ولكن خلقهم على الفطرة، ويعلم ما كان وما يكون من غير أن يتغير علمه سبحانه وتعالى.

المناقشة:

س١ ـ هل أجبر الله أحداً من خلقه على الإيمان أو على الكفر؟
س٢ ـ كيف خلق الله الخلق؟ على الإيمان أم على الكفر؟
س٣ ـ هل يعلم الله تعالى الشيء وقت كونه أم قبل ذلك؟

الطاعات محبوبة لله
والمعاصي مقدورة غير محبوبة

والطاعات كلها كانت واجبة بأمر الله تعالى وبمحبته وبرضائه وعلمه ومشيئته وقضائه وتقديره، والمعاصي كلها بعلمه وقضائه وتقديره ومشيئته لا بمحبته ولا برضائه ولا بأمره.

الشرح: إن الطاعات من الأقوال والأعمال إنما هي واجبة بأمر الله تعالى الشرعي، وبمحبته لهذه الطاعات ورضائه تعالى، كما قال عز وجل: ﴿وَإِن تَشْكُرُواْ يَرْضَهُ لَكُمْ﴾(١).

وهذه الطاعات كذلك بعلمه تعالى ومشيئته وقضائه وقدره، وذلك لأن الله تعالى علم أعمال العباد كلها، ، وشاءها وقضاها وقدرها، ولولا أن الله تعالى قدرها وقضاها ما وجدت، فإنه لا يكون شيء في هذا الكون إلا بمشيئته تعالى وقدره، وقد قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾(٢) وقال تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾(٣) وقال تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذْكِرَةٌ ﴿٥٤﴾ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿٥٥﴾ وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ﴾(٤) وما كان من معاص

(١) سورة الزمر الآية (٧).
(٢) سورة الصافات الآية (٩٦).
(٣) سورة التكوير الآية (٢٩).
(٤) سورة المدثر الآيات (٥٤:٥٦).

في هذا الكون فإنما هي كذلك بعلم الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾(١)، والله تعالى قد قضاها وقدرها وشاء أن تقع لعموم النصوص السابقة، وإن كان الله تعالى لا يحبها ولا يرضاها، كما قال عز وجل: ﴿ إِن تَكْفُرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ ﴾(٢) ولم يامر سبحانه وتعالى بهذه المعاصي أمراً شرعيا، كما قال تعالى: ﴿ وَإِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً قَالُواْ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾(٣) وهكذا تبين أن الطاعات قد أرادها الله شرعاً ورضيها وأمر بها أمراً شرعياً، كما أنها إن وقعت فبإرادة الله الكونية، وأما المعاصي فهي إن وقعت فبإرادة الله الكونية وليس بإرادته الشرعية ولا بأمره الشرعي ولا برضاه ولا بمحبته، فافهم هذه المسألة تصل إلى الحق فيها.

(١) سورة آل عمران الآية (٥).
(٢) سورة الزمر الآية (٧).
(٣) سورة الأعراف الآية (٢٨).

القول في عصمة الأنبياء

والأنبيـاء عليهم الصلاة والسـلام، كلهم منزهـون عن الصغـائـر والكبائر والكفر والقبائح وقد كانت منهم زلات وخطايا.

اللغة: (منزهون) معصومون (زلات) جمع زلة وهي الخطأ.

الشرح: اختلف الناس في مسألـة عصمة الأنبيـاء، وهل يمكن أن تقـع منهم الذنـوب أم لا؟ وقد نقـل ابن تيمية مـذهب السلف في ذلك فقـال: «والجمهور الـذين يقولـون بجواز الصغـائر عليهم يقـولـون إنهم معصومون من الإقـرار عليها، وحينئـذ فما وصفـوهم إلا بما فيـه كمالهم، فإن الأعمال بالخواتيم مع أن القرآن والحديث وإجماع السلف معهم»[1]. وقال: «والقول الذي عليه جمهور الناس وهو الموافق لـلآثار المنقـولة عن السلف إثبـات العصمة من الإقـرار على الـذنوب مـطلقاً والـرد على من يقول إنه يجوز إقرارهم عليها»[2].

وقال: «والقول بأن الأنبياء معصومون عن الكبائر دون الصغـائر، هـو قول أكـثر علماء الإسلام وجميـع الطوائف حتى إنـه قول أكـثر أهـل الكلام.. بل هو لم ينقل عن السلف والأئمة والصحابة والتابعين إلا ما يوافق هذا القول»[3].

وآثار الكتاب والسنة توافق هذا القول، فقد يصدر الزلل من نبي دون تعمـد الوقـوع فيه فيعـاتبـه ربـه وينبهـه ويـرجـع، فهـو لا يتعمـد

(١) منهاج السنة (١/٢٢٧).

(٢) مجموع الفتاوى (١٠/٢٩٢: ٢٩٣).

(٣) مجموع الفتاوى (٤/٣٢٩).

ارتكابه، وربه لا يقره عليه فهذا هو الصواب في المسألة، وأما الكفر والكبائر فهم معصومون عنها مطلقاً، ومما يدل على جواز وقوع الزلل منهم قوله تعالى: ﴿وعصى آدم ربه فغوى﴾[1] وقوله تعالى عن يونس: ﴿ لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَـٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾[2] وقول النبي ﷺ: «اللهم اغفر لي خطيئتي وجهلي وإسرافي في أمري...»[3] وغير ذلك.

الخلاصة:

الأنبياء معصومون من الكفر والكبائر مطلقاً، ومن تعمد الصغائر، وإذا وقعوا فيها فإنهم لا يقرون عليها.

المناقشة:

س١ ـ هل يمكن صدور الكفر والكبائر من الأنبياء؟
س٢ ـ ما حكم صدور الصغائر من الأنبياء؟
س٣ ـ هل يمكن أن يقر الأنبياء على الصغائر؟

(١) سورة طه الآية (١١٦).
(٢) سورة الأنبياء الآية (٨٧).
(٣) مسلم (٢٠٨٧/٤) ح٢٧١٩ في الذكر والدعاء باب التعوذ من شر ما عمل من حديث أبي بردة عن أبي موسى مرفوعاً.

القول في الرسول ﷺ

ومحمد عليه الصلاة والسلام حبيبه وعبده، ورسوله ونبيه، وصفيه ونقيه، ولم يعبد الصنم ولم يشرك بالله تعالى طرفة عين قط، ولم يرتكب صغيرة ولا كبيرة قط.

اللغة: (صفيه) من اصطفاه واختاره (نقيه) من نقاه من كل عيب.

الشرح: إن محمداً ﷺ وهو خليل الله تعالى، كما قال: «إن الله اتخذني خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلا»[1] والخلة هي أعلى درجات المحبة، وهو عبدالله تعالى كما قال عز وجل: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ﴾[2] وهو صفيه تعالى، اصطفاه على الناس جميعا، ونقيه الذي نقاه ربه من العيوب، لم يعبد الصنم قط حتى قبل البعثة، ولم يشرك بالله تعالى طرفة عين أبداً، ولم يصدر ذلك منه بحال، ولم تصدر منه كبيرة قط، ولم يرتكب صغيرة قط عمداً أو بعلم أو بعد تنبيه على ذلك، وقد قال عز وجل: ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ۝٢﴾[3].

وهذا بناء على ما سبق تقريره من أن الأنبياء معصومون من الكبائر ومن تعمد الصغائر، أو الإقرار عليها، وكذلك هم منزهون عن

---

(١) مسلم (٣٧٧/١) ح(٥٣٢) في المساجد باب النهي عن بناء المساجد على القبور من حديث عمرو بن مرة عن أبي الحارث النجراني عن جندب مرفوعاً.

(٢) سورة البقرة الآية (٢٤).

(٣) سورة الفتح الآية (٣).

الكذب والرذائل والقبائح وما يشبهها، ونبينا ﷺ قد بلغ الغاية في ذلك كله.

الخلاصة:

أن النبي ﷺ خليل الرحمن وصفيه، لم يشرك به طرفة عين، ولم يعمل كبيرة أو يتعمد صغيرة أبداً.

المناقشة:

س١ ـ اذكر منزلة النبي ﷺ من ربه.
س٢ ـ هل صدرت المعاصي من النبي ﷺ؟

المفاضلة بين الصحابة

وأفضل الناس بعد النبيين عليهم الصلاة والسلام أبو بكر الصديق ثم عمر بن الخطاب الفاروق ثم عثمان بن عفان ذو النورين ثم علي بن أبي طالب المرتضى رضوان الله تعالى عليهم أجمعين.

اللغة:

الشرح: أفضل الناس بعد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، أصحاب النبي محمد ﷺ، وخيرهم أبو بكر الصديق رضي الله عنه، خليفة رسول الله وأول الخلفاء الراشدين، وأول الرجال إسلاماً وأعظمهم إيمانا وتصديقا، ورفيق رسول الله ﷺ في هجرته وأحب الناس إليه، وقد قال - ﷺ -: **«لو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً»**[1] ومن بعده عمر بن الخطاب الفاروق رضي الله عنه، الخليفة الثاني الراشد الشهيد، خير الأمة بعد أبي بكر الصديق، الذي فتح الله به الفتوح، ومصّر به الأمصار، وقال في حقه النبي ﷺ: **«لقد كان في ما قبلكم من الأمم ناس محدثون، فإن يكن في أمتي أحد فإنه عمر»**[2]. وقوله **«محدثون»** - أي ملهمون.

---

(١) أخرجه البخاري (٢١/٧) ح ٣٦٥٦ في فضائل الصحابة باب قول النبي ﷺ لو كنت متخذاً خليلا من حديث عكرمة عن ابن عباس مرفوعاً، وأخرجه مسلم (١٨٥٥/٤)ح ٢٣٨٣ في فضائل الصحابة من حديث ابن مسعود مرفوعاً.

(٢) أخرجه البخاري (٥٢/٧)ح ٣٦٨٩ في فضائل الصحابة باب مناقب عمر من حديث أبي سلمة عن أبي هريرة مرفوعاً ومسلم (١٨٦٤/٤) ح٢٣٩٨ من حديث أبي سلمة عن عائشة مرفوعاً.

وبعده في الفضل عثمان بن عفان ذو النورين، زوج ابنتي رسول الله ﷺ وثالث الراشدين، الشهيد المقتول ظلماً، الذي توفي رسول الله ﷺ وهو عنه راضٍ، وقد قال ﷺ في حقه: «ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة»[1] يعني: عثمان ويليه في الفضل رابع الراشدين، الليث المحارب علي بن أبي طالب رضي الله عنه زوج فاطمة بنت رسول الله ﷺ، العدل المرتضى، أبو الحسن والحسين سيدي شباب أهل الجنة الشهيد كذلك والذي قال في حقه ﷺ: «ألا يرضيك أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا إنه ليس بعدي نبي»[2] وهؤلاء الأربعة الخلفاء ممن شهد لهم النبي ﷺ بالجنة صراحة، فنترضى عنهم أجمعين ونعرف لهم قدرهم وفضلهم، ولا نذكرهم إلا بالخير.

---

(١) مسلم (٤/١٨٦٦/٢٤٠١) في فضائل الصحابة باب من فضائل عثمان بن عفان رضي الله عنه من حديث عطاء وسليمان ابني يسار وأبي سلمة بن عبدالرحمن عن عائشة مرفوعا.

(٢) البخاري (٧/٨٨/ح٣٧٠٦) في فضائل الصحابة باب مناقب علي بن أبي طالب، من حديث إبراهيم بن سعد عن أبيه مرفوعاً، مسلم (٤/١٨٧٠/ح٢٤٠٤) في فضائل الصحابة باب من فضائل علي عن عامر بن سعد عن أبيه وعن مصعب بن سعد عن أبيه.

لا يكفر مسلم بذنب ما لم يستحله

عابدين ثابتين على الحق ومع الحق، نتولاهم جميعاً ولا نذكر أحداً من أصحاب رسول الله إلا بخير، ولا نكفر مسلماً بذنب من الذنوب وإن كانت كبيرة إذا لم يستحلها ولا نزيل عنه اسم الإيمان، ونسميه مؤمناً حقيقة، ويجوز أن يكون مؤمناً فاسقاً غير كافر.

اللغة: (نتولاهم) نحبهم ونواليهم وننصرهم (فاسقاً) خارجاً عن طاعة الله.

الشرح: وكانوا رحمهم الله عابدين لله عز وجل ثابتين على الحق لا يتزحزحون، وكانوا مع الحق دائماً ملازمين له مبتعدين عن الباطل، فكلهم نتولاهم، محبة ونصرة وغير ذلك، وكل أصحاب رسول الله ﷺ نتولاهم ولا نذكرهم إلا بخير، ونبغض من يقع فيهم، وقد قال النبي ﷺ: «لا تسبوا أصحابي...»[1] وقال الطحاوي رحمه الله في عقيدته: «ونحب أصحاب رسول الله ﷺ ولا نفرط في حب أحد منهم، ونبغض من يبغضهم وبغير الخير يذكرهم ولا ذكرهم إلا بخير، وحبهم دين وإيمان وإحسان، وبغضهم كفر ونفاق وطغيان»[2].

وأهل السنة لا يكفرون المسلم بالذنوب كما تفعل الخوارج، حتى لو ارتكب الكبائر، ما دام غير مستحل لها، فأما إذا استحلها فإنه يكفر

---

(١) البخاري (٧/٢٥/ح٣٦٧٣) في فضائل الصحابة باب قول النبي ﷺ لو كنت متخذاً خليلاً. ومسلم (٤/١٩٦٧/ح٢٥٤١) في فضائل الصحابة باب تحريم سب الصحابة كلاهما من حديث أبي صالح عن أبي سعيد مرفوعاً.

(٢) انظر شرح العقيدة الطحاوية (ص٤٦٤).

بذلك الاستحلال، إلا إذا كان جاهلاً، فيعرف ويعلم فإن أصر بعد البيان كفر بذلك، وهم لا يزيلون عنه اسم الإيمان بذلك، فإن الخوارج نقلوه إلى الكفر، والمعتزلة جعلوه في منزلة بين المنزلتين، وكل منهما رفعوا عنه اسم الإيمان. أما أهل السنة فيسمونه مؤمناً حقيقة، وإن كان إيمانه ناقصاً بسبب ذنوبه، فإن الإيمان يزيد بالطاعات وينقص بالمعاصي حقيقة.

ومن المعلوم أن المؤمن قد يفسق بارتكابه للكبيرة مثلاً من غير أن يخرج بذلك من الإسلام، كما قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا۟ لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًا وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤﴾ ﴾[1] فحكم بفسقهم ولم يكفرهم بذلك فتنبه لهذه المسألة فإنها هامة جدا، وقد ضلت فيها طوائف، نعوذ بالله من الخذلان.

الخلاصة:

أفضل الصحابة أبو بكر وعمر وعثمان وعلي، ونحب جميع الصحابة ونذكرهم بالخير، ولا نكفر مسلما بذنب ما لم يستحله.

المناقشة:

س١ ـ من هم أفضل الصحابة بعد رسول الله ﷺ؟

س٢ ـ هل يجوز ذكر الصحابة بغير الخير؟

س٣ ـ هل يكفر المسلم بالمعصية، وما حكمه إذا استحلها؟

---

(١) سورة النور الآية (٤).

ذكر بعض من عقائد أهل السنة

والمسح على الخفين سنة، والتراويح في ليالي شهر رمضان سنة، والصلاة خلف كل برّ وفاجر جائزة، ولا نقول: إن المؤمن لا تضره الذنوب. ولا نقول: إنه لا يدخل النار. ولا نقول: إنه يخلد فيها.

الشرح: والمسح على الخفين سنة ثابتة عن النبي ﷺ، قريبة من حد التواتر، وهي ثابتة بالكتاب عند من قرأ قوله تعالى: ﴿وَأَرْجُلِكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾[1] بكسر اللام، وثابتة من حديث النبي ﷺ لما أراد المغيرة نزع خفيه فقال له: «دعهما فإني أدخلتهما طاهرتين»[2] وغير ذلك. وأهل السنة يعدون المسح على الخفين من أصولهم، حيث خالفت فيه طوائف من المبتدعة. والتراويح في ليالي رمضان سنة، ثابتة من فعله ﷺ وأصحابه، ومن قوله أيضاً: «من قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه»[3].

وتجوز الصلاة خلف كل برّ وفاجر من أهل القبلة، إلا أن كان

---

(١) سورة المائدة الآية (٦).

(٢) البخاري (١/٣٧٠/ح٢٠٦) في اللوضوء باب إذا دخل رجليه وهما طاهرتان، ومسلم (١/٢٤٠/ح٢٧٤) في الطهارة باب المسح على الخفين كلاهما من حديث عروة بن المغيرة عن أبيه مرفوعاً.

(٣) البخاري (١/١١٤/ح/٣٧) في الإيمان باب تطوع قيام رمضان من الإيمان ومسلم (١/٥٢٣/ح٧٥٩) في صلاة المسافرين باب الترغيب في قيام رمضان كلاهما من حديث حميد بن عبدالرحمن عن أبي هريرة مرفوعاً.

مبتدعاً ببدعة مكفرة، أو داعية إلى بدعة ضلالة، فإن لم يوجد إمام سنة، جازت الصلاة خلف المبتدع إلا صاحب البدعة المكفرة، قال الإمام الطحاوي رحمه الله في عقيدته: «ونرى الصلاة خلف كل بر وفاجر من أهل القبلة، وعلى من مات منهم»(١).

وأهل السنة لا يقولون كما تقول المرجئة: إن المؤمن لا يضره ذنب، بل إن الذنوب تضر وتنقص الإيمان، ويخشى على صاحبها من الكفر، وهم يقولون: إن الإيمان ينقص بالمعاصي، خلافاً لأبي حنيفة رحمه الله حيث لم يدخل الأعمال في مسمى الإيمان، وقد قال الإمام الطحاوي رحمه الله في عقيدته: «ولا نقول لا يضر مع الإيمان ذنب لمن عمله»(٢).

وكذلك أهل السنة يقولون: إن المؤمن قد يدخل النار إن غلبت ذنوبه على حسناته، إلا أن يشاء الله تعالى غير ذلك، وهذا لأنه نقص إيمانه بسبب المعصية، هذا وإن كان معه أصل الإيمان، وهو يعذب في النار على قدر ذنوبه ثم يخرج منها ويدخل الجنة، وأما الخوارج فقد كفروه وصرحوا بخلوده في النار - أعني مرتكب الكبيرة من المؤمنين - والمعتزلة أخرجوه من الإيمان لكنهم لم يكفروه، بل قالوا هو في منزلة بين المنزلتين، وصرحوا بخلوده في النار كذلك.

---

(١) انظر شرح العقيدة الطحاوية (ص٣٥٧).

(٢) انظر نفس المصدر (ص٢٩٠).

وإن كان فاسقاً بعد أن يخرج من الدنيا مؤمناً، ولا نقول: إن حسناتنا مقبولة، وسيئاتنا مغفورة كقول المرجئة، ولكن نقول من عمل حسنة بجميع شرائطها خالية عن العيوب المفسدة، ولم يبطلها بالكفر والردة، والأخلاق السيئة حتى خرج من الدنيا مؤمنا فإن الله تعالى لا يضيعها بل يقبلها منه ويثيبه عليها.

اللغة: (يبطلها) ينقصها ويضيع ثوابها.

الشرح: وأما أهل السنة فلا يقولون بخلوده في النار، وإن فسق بارتكاب الكبائر، ما دام لم يرتفع عنه اسم الإيمان، وكذلك أهل السنة لا يجزمون أن حسناتهم مقبولة، وسيئاتهم مغفورة قطعا كقول المرجئة، بل يرجون من الله قبول الحسنات ومغفرة الذنوب، والمؤمن لا يأمن مكر الله تعالى، وفي الحديث: «ولكنهم الذين يصومون ويصلون ويتصدقون وهم يخافون أن لا يقبل منهم أولئك الذين يسارعون في الخيرات»[1]. وأهل السنة يقولون: إن المؤمن إذا عمل الحسنة بجميع شروطها الشرعية، وكانت خالية من العيوب التي تفسدها أو تحبطها كالرياء مثلا، ولم يبطلها بالكفر والردة لقوله تعالى: ﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ﴾[2] وكذلك لم يبطلها بالأخلاق السيئة، كما في مثل قوله تعالى: ﴿لَا تُبْطِلُوا۟

---

(١) الترمذي (٥/٣٢٧) ح٣١٧٥ في التفسير باب ومن سورة المؤمنون، وأحمد (٦/١٥٩) والحاكم (٢/٣٩٣: ٣٩٤) وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي، كلهم من حديث عبدالرحمن بن سعيد عن عائشة مرفوعاً، وصححه الألباني في [سلسلة الأحاديث الصحيحة (١/٩٥/رقم ١٦٢)].

(٢) سورة البقرة الآية (٢١٧).

﴿صَدَقَـٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ﴾[1] وغير ذلك من رذائل الصفات ومذموم الأخلاق، فالمؤمن إذا عمل الحسنة بهذا الشكل، وبهذه الصفات، حتى يخرج من الدنيا مؤمناً إيماناً صحيحاً فإن من فضل الله وجوده أنه يقبل منه هذه الحسنة ولا يضيعها ويثيبه عليها، وكما في الحديث: «من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب ولا يقبل الله إلا الطيب، فإن الله يتقبلها بيمينه، ثم يربيها لصاحبها كما يربي أحدكم فلوّه حتى تكون مثل الجبل»[2] وهذا كله بناء على الأصل، ولكن في نهاية المطاف فينبغي إرجاع الأمر لله وعدم الجزم بشيء.

(١) سورة البقرة الآية (٢٦٤).

(٢) البخاري (٣٢٦/٣/ح١٤١٠) في الزكاة باب الصدقة من كسب طيب من حديث أبي صالح عن أبي هريرة مرفوعاً.

وما كان من السيئات دون الشرك والكفر ولم يتب عنها صاحبها حتى مات مؤمناً فإنه مؤمنٌ في مشيئة الله تعالى إن شاء عذبه بالنار، وإن شاء عفا عنه ولم يعذبه بالنار أصلًا، والرياء إذا وقع في عمل من الأعمال فإنه يبطل أجره، وكذلك العجب.

الشرح: ثم إن جميع السيئات التي يعملها الإنسان المؤمن دون الشرك بالله والكفر به إن مات المؤمن على غير توبة منها، لكنه مات ولم يرتفع عنه اسم الإيمان، فإن أهل السنة يقولون: إنه تحت مشيئة الله تعالى، فإن شاء الله عذبه بالنار ثم أخرجه منها بإيمانه، وإن شاء عفا عنه ولم يعذبه بالنار أصلًا، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾[1] وفي الحديث: «ومن أصاب من ذلك شيئاً فستره الله فهو إلى الله، إن شاء عفا عنه وإن شاء عاقبه»[2]. وهذا هو الحق لا ريب في هذا الباب.

ثم إن الرياء إذا دخل في العمل أبطل أجره، بل قد يبطل العمل نفسه إن كان الباعث على فعله مجرد الرياء وكذلك مما يبطل أجر العمل العجب، أن يعجب الإنسان بعمله، فيدل به على الله ويرى أنه قد بلغ به أعلى المنازل، وأتى به على أحسن الوجوه، فيمن به على الله تعالى وإنما حقيقة الأمر: ﴿ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَـٰنِ إِن كُنتُمْ

---

(١) سورة النساء الآية (٤٨).

(٢) البخاري (١/٨١/ح١٨) في الإيمان باب ١١ من حديث أبي إدريس الخولاني عن عبادة بن الصامت مرفوعاً.

صَـٰدِقِينَ﴾[1] وإنما يجب أن يرى الإنسـان النقص في عمله، وأن يسأل الله قبوله والعفو عن التقصير فيه.

الخلاصة:

يرى أهل السنة جواز المسح على الخفين، وسنية تراويح رمضـان، وجـواز الصلاة خلف الـبر والفاجـر، ويجتنبون الإرجـاء، ويقولـون: إن المذنب لا يكفر بالذنب، لكنه تحت المشيئة، ولا يقولون: إن المعاصي لا تضر.

المناقشة:

س١ ـ ما حكم المسح على الخفين، وصلاة التراويح في رمضان؟
س٢ ـ ما حكم الصلاة خلف الفاجر؟
س٣ ـ هل يضر مع الإيمان ذنب؟
س٤ ـ ما حكم المسلم العاصي؟ وهل يقطع له بالنار؟

---

(١) سورة الحجرات الآية (١٧).

آيات الأنبياء وكرامات الأولياء حق

والآيات ثابتة للأنبياء، والكرامات للأولياء حق، وأما التي تكون لأعدائه مثل إبليس وفرعون والدجال فما روي الأخبار أنه كان ويكون لهم لا نسميها آيات ولا كرامات، ولكن نسميها قضاء حاجاتهم، وذلك لأن الله تعالى يقضي حاجات أعدائه استدراجا لهم وعقوبة لهم فيغترون به ويزدادون طغياناً وكفراً، وذلك كله جائز ممكن.

اللغة: (الآيات) العلامات (الكرامات) ما يكرمهم الله به من خوارق العادات.

الشرح: آيات الأنبياء والرسل ثابتة لا ريب، وهي أمور خارقة يجريها لهم الله تعالى دليلاً على صدقهم، وذلك من جنس ناقة صالح ﴿هَٰذِهِ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً﴾(1) ومن جنس نجاة إبراهيم من النار: ﴿قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾(2) وعصا موسى عليه السلام ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾(3) وغير ذلك من المعجزات الثابتة لهم، برهانا من الله تعالى على صدقهم في دعوى النبوة، وكذلك كرامات الأولياء حق، والأصل في إثباتها قوله تعالى: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾(4) فكل ما يجري للصالحين من

(1) سورة الأعراف الآية (٧٣).

(2) سورة الأنبياء الآية (٦٩).

(3) سورة الأعراف الآية (١١٧).

(4) سورة آل عمران الآية (٣٧).

خوارق العادات هو مما أكرمهم الله تعالى به، وأما إذا وقع لبعض أعداء الله شيء من هذه الخوارق كإبليس وكفرعون لما ألقى سحرته العصى ﴿ وَقَالُواْ بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴾[1] فصارت عصيهم تبدو للناس كثعابين تسعى. والدجال لسرعة انتقاله في الأرض وإحيائه للمقتول وغير ذلك، فكل هذه الأمور لا تسمى كرامات إذ ليسوا بأولياء وهم أعداء الله تعالى، تسمى قضاء حاجات، والله تعالى يقضي حاجاتهم - حاجات أعدائه - استدراجاً لهم، وعقوبة لهم، فيغترون بذلك، ويتوهمون أنهم على حق، فيزدادون من الطغيان والكفر حتى يحل بهم غضب الله: ﴿ فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴾[3]، وكل هذه الأمور - أعني الآيات والكرامات وقضاء الحاجات - كلها ممكنة جائزة الحدوث من الله تعالى، إذ هو المالك المتصرف في كل شيء، ولا يعجزه شيء سبحانه وتعالى.

الخلاصة:

آيات الأنبياء حق ثابت، وكرامات الأولياء كذلك، وما كان من خوارق لغير المؤمنين فهي استدراج لهم.

المناقشة:

س١ ــ ما معنى آيات الأولياء؟ مثّل لها بثلاثة أمثلة؟

س٢ ــ هل كرامات الأنبياء حق؟ وما الدليل؟

س٣ ــ ما حكم الخوارق التي قد تقع لغير المؤمنين؟

---

(١) سورة الشعراء الآية (٤٤).

(٢) سورة الأنعام الآية (٤٤).

رؤية الله في الآخرة

وكان الله تعالى خالقاً قبل أن يخلق، ورازقاً قبل أن يرزق، والله تعالى يُرى في الآخرة، ويراه المؤمنون وهم في الجنة بأعين رؤوسهم بلا تشبيه ولا كيفية، ولا يكون بينه وبين خلقه مسافة.

الشرح: إن الله تعالى مستحق لاسم الخالق قبل أن يخلق الخلق، وقد قال الطحاوي رحمه الله في عقيدته: «ما زال بصفاته قديماً قبل خلقه، لم يزدد بكونهم شيئاً لم يكن قبلهم من صفته، وكما كان بصفاته أزليا كذلك لا يزال عليها أبدياً»[1] وقال أيضاً: «ليس بعد خلق الخلق استفاد اسم الخالق ولا بإحداثه البرية استفاد اسم الباري»[2]. وهو سبحانه رازق كذلك مستحق لهذا الاسم قبل أن يرزق الخلق، فأسماؤه وصفاته سبحانه قديمة.

والله عز وجل يُرى في الآخرة، يراه المؤمنون بأعين رؤوسهم رؤية حقيقية، كما قال عز وجل: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾[3] وقال في حق الكفار: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾[4] فلما أخبر أن الكافرين محجوبون عنه، دل على أن المؤمنين غير محجوبين، فدل على أنهم يرونه، وفي الحديث: «إنكم ترون ربكم يوم القيامة كما

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية (ص٦٨).

(٢) نفس المصدر السابق (ص٧٨).

(٣) سورة القيامة الآيتان (٢٢: ٢٣).

(٤) سورة المطففين الآية (١٥).

ترون القمر ليلة البدر لا تضامـون في رؤيته»[1] وهي رؤية حقيقية، لا نؤولها بما يخرجها عن حقيقتها وينفي معناها، ولا نكيفها بكيفيـة معينة، ولا نشبهها برؤيتنا للمخلوقين، ولا ننفيها كما نفتها الجهمية والمعتزلة وغيرهم وقوله: «ولا يكون بينه وبين خلقه مسافة» لعله أن يكون مدسوساً على أبي حنيفة، فهو من ألفاظ المتكلمين، ثم إنه توضيح لكيفية الرؤية، التي نفى قبل ذلك أي تكييف لها، وكيف يرى الإنسان ما ليس بينه وبينه مسافة؟ فتنبه لهذا.

الخلاصة:

صفات الله تعالى قديمة قبل أن يخلق الخلق، والله تعالى يُرى في الآخرة بالأبصار حقيقة بلا كيفية.

المناقشة:

س١ ـ هل صفة الخلق والرزق قديمة أم محدثة؟

س٢ ـ هل رؤية الله تعالى حقيقية يوم القيامة أم مجازية؟

---

(١) البخاري (٢/٤٠/٥٥٤) في مواقيت الصلاة باب فضل صلاة العصر من حديث قيس عن جرير مرفوعاً.

تعريف الإيمان

والإيمان هو الإقرار والتصديق، وإيمان أهل السماء والأرض لا يزيد ولا ينقص من جهة المؤمن به، ويزيد وينقص من جهة اليقين والتصديق، والمؤمنون مستوون في الإيمان والتوحيد متفاضلون في الأعمال.

اللغة: (الإقرار) الاعتراف (اليقين) التصديق الجازم (مستوون) متماثلون (متفاضلون) متفاوتون.

الشرح: يبين الإمام أبو حنيفة رحمه الله عقيدته في الإيمان، وهي أن الإيمان عنده إقرار باللسان وتصديق بالقلب، وأن إيمان أهل السماء والأرض لا يزيد ولا ينقص، وهذا منه ـ رحمه الله ـ خلاف مذهب السلف، فإن الإيمان عندهم تصديق وإقرار وعمل، ويزيد وينقص قال النبي ﷺ: «أتدرون ما الإيمان بالله وحده؟ إقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان، وأن تؤدوا من المغنم الخمس»[1] وقال الله تعالى في حق زيادته ونقصانه: ﴿وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِيمَـٰنًا﴾[2] والأدلة لا تحصى، فما ذكره رحمه الله مخالف لمذهب السلف، وقوله: «لا يزيد ولا ينقص من جهة المؤمن به...» هذا من ألفاظ المتكلمين المحدثة، والسلف لم يتطرقوا لهذه الجزئيات إنما قالوا فقط: «يزيد وينقص: يزيد بالطاعة

---

(١) أخرجه البخاري (١٥٧/١) ح٥٣ في الإيمان باب أداء الخمس من الإيمان، ومسلم (٤٦/١) ح١٧ في الإيمان باب الأمر بالإيمان بالله تعالى ورسوله ﷺ، كلاهما من حديث أبي جمرة عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعاً.

(٢) سورة المدثر الآية (٣١).

وينقص بالمعصية»، ثم إن قوله بتساوي المؤمنين في الإيمان مما يعلم بطلانه ضرورة، فليس إيمان الملائكة والأنبياء كعامة المؤمنين، وهذا مما ينبغي التنبيه له فتأمل.

الخلاصة:

الإيمان عند أهل السنة قول وعمل، ويزيد وينقص، والمؤمنون متفاضلون في الأعمال والإيمان.

المناقشة:

س١ ــ عرف الإيمان عند أهل السنة؟

س٢ ــ هل يزيد الإيمان وينقص عندهم؟ وما زيادته ونقصانه؟

س٣ ــ هل يتساوى المؤمنون في إيمانهم؟

علاقة الإسلام والإيمان

والإسلام هو التسليم والانقياد لأوامر الله تعالى، فمن طريق اللغة فرق بين الإيمان والإسلام ولكن لا يكون إيمان بلا إسلام، ولا يوجد إسلام بلا إيمان، وهما كالظهر مع البطن، والدين اسم واقع على الإيمان والإسلام والشرائع كلها.

اللغة: (الانقياد) الإذعان والاتباع والطاعة.

الشرح: إن معنى الإسلام التسليم لله تعالى، والانقياد لأمره عز وجل، وعدم رده مهما كان ولكي يكون الإسلام على أحسن وجه لا بد أن ينساق المسلم لأمر الله ورسوله دون أي تردد، فمن جهة اللغة، هناك فرق بين الإسلام والإيمان، لأن أصل وضعهما من جهة اللغة مختلف ولكن في الحقيقة فإنها متلازمان كالظهر مع البطن، وإذا افترقا دل كل منهما على ما يدل عليه الآخر، فصار كل منهما عبارة عن تصديق وإقرار وعمل، ولكن إذا ذكرا مجتمعين اختص الإسلام بالأعمال الظاهرة والإيمان بالأعمال الباطنة، وهذا معنى قول من قال: «إذا اجتمعا افترقا، وإذا افترقا اجتمعا» وهذا هو التحقيق في المسألة، وأما اسم الدين فهو يشمل الإسلام والإيمان وجميع شرائع الإسلام، لأن النبي ﷺ قال في حق جبريل بعد أن ذكر الإسلام والإيمان والإحسان، قال: «أتاكم يعلمكم دينكم»[1] فسمى كل هذه الأشياء ديناً، فدل على أن اسم الدين يشمل الشرائع كلها.

---

(١) أخرجه مسلم (٣٦/١)ح١ في أول الإيمان من حديث ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعاً.

الخلاصة:

معنى الإســلام التسليم والانقياد، ومن جهــة اللغـة يختلف عن الإيمـان، لكنهما إذا اجتمعا افترقا، وإذا افترقا اجتمعا، والـدين اسم يشمل الإسلام والإيمان وجميع الشرائع.

المناقشة:

س١ ـ ما معنى الإسلام؟
س٢ ـ ما العلاقة بين الإسلام والإيمان؟
س٣ ـ عرِّف الدين وهل يشمل الشرائع أم لا؟

معرفتنا بالله تعالى

نعرف الله تعالى حق معرفته كما وصف الله نفسه، في كتابه بجميع صفاته. وليس يقدر أحد أن يعبد الله حق عبادته كما هو أهل له، ولكنه يعبده بأمره كما أمره بكتابه وسنة رسوله ويستوي المؤمنون كلهم في المعرفة واليقين والتوكل والمحبة والرضاء والخوف والرجاء والإيمان في ذلك. ويتفاوتون فيما دون الإيمان في ذلك كله.

اللغة: (يقدر) يستطيع.

الشرح: إن المؤمن يعرف الله تعالى حق المعرفة، بأسمائه وصفاته، كما وصف نفسه في كتابه بجميع صفاته، إذ أن المؤمن يصف الله تعالى بما وصف به نفسه، وينفي عنه ما نفاه عن نفسه وليس معنى ذلك أن المؤمن يعبد الله تعالى حق عبادته، كما هو أهل لذلك، فإن حق الله تعالى عظيم لا يستطيع مخلوق أن يؤديه كما ينبغي، بل إن الإنسان لو عبدالله سبعين عاماً لا يفتر، ما استطاع أن يؤدي شكر نعمة واحدة كنعمة البصر مثلاً.

ولهذا قال النبي ﷺ: «واعلموا أنه لن يدخل أحد منكم الجنة بعمله»[1]. وإنما يعبد المؤمن ربه، كما أمره الله تعالى بذلك في كتابه وفي سنة رسول الله ﷺ.

---

(١) أخرجه مسلم (٢١٦٩/٤) ح٢٨١٦ في صفات المنافقين باب لن يدخل أحد الجنة بعمله، من حديث بسر بن سعيد عن أبي هريرة، ومن حديث ابن سيرين عن أبي هريرة.

والمؤمنون كلهم - كما يرى أبو حنيفة - متساوون في المعرفة واليقين، كما أنهم متساوون أيضا في أعمال الإيمان: كالتوكل والمحبة وغيرها، ويتفاوتون فيما دون ذلك، وهذا باطل لا شك، فالمؤمنون متفاوتون في كل ذلك، وكيف يكون يقين أي منا كيقين النبي ﷺ، وتوكله كتوكله، فهذا كلام واضح البطلان، ولكن المؤمنين متفاوتون في الإيمان وفي الأعمال لا شك في ذلك.

الخلاصة:

لا يستطيع أحد أن يؤدي حق الله في العبادة، والمؤمنون متفاوتون في الإيمان والأعمال، متفاضلون في كل ذلك.

المناقشة:

س١ ــ هل يؤدي أحد حق الله تعالى عليه كما ينبغي؟

س٢ ــ هل يتفاوت المؤمنون في الإيمان والأعمال أم يتساوون؟

شفاعة الأنبياء والميزان والحوض

والله تعالى متفضل على عباده، عادل قد يعطي من الثواب أضعاف ما يستوجبه العبد تفضلاً منه، وقد يعاقب على الذنب عدلاً منه، وقد يعفو فضلاً منه وشفاعة الأنبياء عليهم السلام حق، وشفاعة النبي عليه الصلاة والسلام للمؤمنين المذنبين ولأهل الكبائر منهم المستوجبين العقاب حق ثابت، ووزن الأعمال بالميزان يوم القيامة حق، وحوض النبي عليه الصلاة والسلام حق.

اللغة: (متفضل على عباده) محسن إليهم أضعاف) جمع ضعف وهو مثل الشيء معه (الشفاعة) طلب قضاء حق الغير (المستوجبين العقاب) المستحقين له.

الشرح: إن الله تعالى متفضل على الناس، بنعمه وإحسانه، وعفوه وحلمه، وهو سبحانه عادل لا يظلم، بل يعطي من الثواب على الحسنة أضعاف ما يستحق العبد، وذلك كرم منه تعالى وفضل كما قال عز وجل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[1]. كما أنه تعالى قد يعاقب على الذنب، وإن فعل فذلك عدل منه لاستحقاق العبد العقاب بمعصيته وقد يعفو تعالى عن صاحب الذنب فضلا منه، وذلك نعمة كبرى منه سبحانه يستحق الشكر عليها وشفاعة الأنبياء عليهم السلام يوم القيامة ثابتة بالكتاب

---

(١) سورة النساء الآية (٤٠).

والسنة والإجماع، قال تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ﴾[1] فشفاعتهم ثابتة لكنها إنما تكون بإذن الله تعالى، وشفاعة النبي ﷺ لأهل الكبائر من المسلمين الذين استوجبوا العقاب بذنوبهم، هذه الشفاعة حق ثابت، كما ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «**شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي**»[2] فشفاعته ﷺ للمذنبين حق إن شاء الله تعالى.

ووزن الأعمال بالميزان يوم القيامة حق ثابت بالكتاب والسنة والإجماع، كما سبق الكلام عنه، وكذلك حوض النبي ﷺ حق ثابت، وهو حوض عظيم: ماؤه أبيض من اللبن، وأحلى من العسل، ورائحته كريح المسك، وكيزانه كنجوم السماء من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبدا يرده المؤمنون يوم القيامة، ويصد عنه أهل البدع والمحدثات، وهو حوض عظيم الاتساع قال في حقه النبي ﷺ: «**حوضي مسيرة شهر، ماؤه أبيض من اللبن، وريحه أطيب من المسك، وكيزانه كنجوم السماء، من شرب منها فلا يظمأ أبداً**»[3] وهذا الحوض المورود مما يكرم به نبينا ﷺ.

---

(١) سورة البقرة الآية (٢٥٥).

(٢) أحمد (٢١٣/٣) وأبو داود (١٠٦/٥/ح/٤٧٣٩) في السنة باب في الشفاعة، والترمذي (٦٢٥/٤ ح٢٤٣٥) في صفة القيامة كلهم من حديث أنس مرفوعاً، وورد من حديث جابر وابن عباس وابن عمر وكعب بن عجرة وقال الترمذي: حسن صحيح غريب، وصححه الألباني في (صحيح الجامع ٦٩١/١/رقم ٣٧١٤).

(٣) البخاري (٤٧٢/١١/ح٦٥٧٩) في الرقاق باب في الحوض من حديث أبي مليكة عن ابن عمرو مرفوعاً.

الجنة والنار لا تفنيان

والقصاص فيما بين الخصوم بالحسنات يوم القيامة حق، وإن لم تكن لهم الحسنات فطرح السيئات عليهم حق جائز. والجنة والنار مخلوقتان لا تفنيان أبدا، ولا تموت الحور العين أبداً، ولا يفنى عقاب الله تعالى. وثوابه سرمدا، والله تعالى يهدي من يشاء فضلا منه، ويضل من يشاء عدلا منه، وإضلاله خذلانه وتفسير الخذلان أن لا يوفق العبد إلى ما يرضاه وهو عدل منه. وكذا عقوبة المخذول على المعصية.

الشرح: إن القصاص بين الخصوم يوم القيامة بإعطاء المظلوم من حسنات الظالم، وإن لم يكن له حسنات فبطرح شيء من سيئات المظلوم على الظالم، كما صح الحديث بذلك «**فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته فإن فنيت حسناته قبل أن يُقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه، ثم طرح في النار**»[1]، ومما يعتقده أهل السنة أن الجنة والنار مخلوقتان الآن وموجودتان لا تفنيان أبدا، خلافا لقول من قال غير ذلك من أهل البدع. والحور العين خالدات لا يمتن أبداً.

بل خالدات بخلود الجنات، وكذلك فإن النار لا تفنى، ولا يفنى عذابها، فعقاب الله دائم لا ينقطع، وثوابه تعالى دائم لا ينقطع.

والله تعالى يهدي من يشاء تفضلاً منه، ويضل من يشاء عدلاً

(١) مسلم (٤/١٩٩٧/ح٢٥٨١) في البر والصلة والآداب باب تحريم الظلم، وأحمد (٢/٣٠٣) والترمذي (٤/٦١٣/ح٢٤١٨) في صفة القيامة باب ما جاء في شأن الحساب والقصاص، كلهم من حديث العلاء بن عبدالرحمن عن أبيه عن أبي هريرة مرفوعاً.

منه، كما قال تعالى: ﴿وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِي مَن يَشَآءُ﴾[1]. قال الإمام الطحاوي في عقيدته: «يهدي من يشاء ويعصم ويعافي فضلا ويضل من يشاء ويخذل ويبتلي عدلا. وكلهم يتقلبون في مشيئته بين فضله وعدله»[2].

والإضلال هو الخذلان، ومعنى الخذلان الحرمان من التوفيق إلى ما فيه رضوان الله، وإذا ما خذل الله عبداً فهذا عدل منه وهو يستحق الخذلان، وكذلك عقوبة الله للمخذول على ما يرتكبه من المعاصي عدل من الله تعالى.

الخلاصة:

الله تعالى قد يعاقب على الذنب أو يعفو، ويضاعف الحسنات، وللأنبياء شفاعة ثابتة، والوزن حق، والحوض حق، والقصاص حق، والجنة والنار حق لا تفنيان، والهدى والضلال بيد الله تعالى.

المناقشة:

س١ ـ ما القول في شفاعة الأنبياء؟
س٢ ـ ماذا تعرف عن الحوض والميزان؟
س٣ ـ هل يقتص للخصوم من بعضهم يوم القيامة؟
س٤ ـ ما حكم القول بفناء النار؟ وهل ينقضي بقاؤها وبقاء الجنة؟

---

(١) سورة النحل الآية (٩٣).
(٢) شرح العقيدة الطحاوية (ص٩٨).

ولايجوز أن نقول: إن الشيطان يسلب الإيمان من العبد المؤمن قهراً وجبراً. ولكن نقول: العبد يدع الإيمان فحينئذ يسلبه منه الشيطان.

وسؤال منكر ونكير حق كائن في القبر، وإعادة الروح إلى الجسد في قبره حق، وضغطة القبر وعذابه حق كائن للكفار كلهم ولبعض عصاة المؤمنين حق جائز، وكل شيء ذكره العلماء بالفارسية من صفات الله تعالى عز اسمه فجائز القول به سوى اليد بالفارسية ويجوز أن يقال (بَرُوىء خُدَ) أي - عز وجل - بلا تشبيه ولا كيفية.

اللغة: (يدع) يترك.

الشرح: إن الشيطان لا يستطيع أن يسلب الإيمان من المؤمن قهراً وجبراً، ولكن إذا تخلى العبد عن إيمانه ويقينه وعمله الصالح، وركن إلى الشبهة والمعصية وغيرها، فحينئذ يسلب الشيطان منه الإيمان، ومن أصول أهل السنة الإيمان بسؤال القبر ويباشره ملكان هما منكر ونكير، وقد ثبت في حقهما عدة أحاديث صحيحة منها قوله ﷺ: «إذا قبر الميت أتاه ملكان أسودان أزرقان يقال لأحدهما المنكر وللآخر النكير، فيقولان: ما كنت تقول في هذا الرجل»[1] الحديث وهكذا فإن أهل

(١) الترمذي (٣/٣٨٣/ح/١٠٧١) في الجنائز باب ما جاء في عذاب القبر من حديث سعيد المقبري عن أبي هريرة مرفوعاً وقال الترمذي: حسن غريب، وحسنه الألباني في (صحيح الجامع ١/١٨٦/ح٧٢٤).

السنة يؤمنون بأن الروح ترجع إلى الجسد في القبر للسؤال، وهـذا حق ثبت به الأحادبث الصحيحـة، وكذلـك ضغطة القـبر وعذابـه حق، كما ثبت في الأحاديث الصحيحة ومنها الحديث السابق، فهذا كله حق كائن للكفـار لا شـك فيـه، وقـد وردت فيـه النصـوص الكثـيرة من القـرآن والسنة، فلا سبيل لإنكاره، وأثبتت النصوص كذلـك أن عصاة المؤمنـين يجوز أن يعذب الله من شاء منهم في القبر بذنوبه حتى يقضي ما عليه.

ثم بين الإمام رحمه الله أن ما قاله العلماء بالفارسية أو بغيرهـا من اللغات غير العربية من صفات الله تبارك وتعالى فيجوز القول به ما عدا اليد بالفارسية فلا يجوز القول بها ولكن يجوز أن ينطق الإنسان كلمة عز وجل بالفارسية أو غيرها.

معنى القرب والبعد

وليس قرب الله تعالى ولا بعده من طريق طول المسافة وقصرها، ولكن على معنى الكرامة والهوان، والمطيع قريب منه بلا كيف، والعاصي بعيد منه بلا كيف، والقرب والبعد والإقبال يقع على المناجي وكذلك جواره في الجنة، والوقوف بين يديه بلا كيفية.

اللغة: (المناجي) المفعول من ناجى، والمناجاة هي الكلام الهامس.

الشرح: والله تعالى يقرب من يشاء من المؤمنين، فيكرمه وينصره ويسدده، ويبعد من يشاء من العصاة والكافرين فيهينه ويخذله، كل ذلك بلا كيف، وكذلك جواره في الجنة، والوقوف بين يدي الله تعالى، كل ذلك حق نؤمن به ولا نكيفه، فإن التكييف باب الضلال.

الخلاصة:

سؤال القبر وعذابه حق، والشيطان يسلب الإيمان إذا تركه العبد، ويجوز ذكر الله تعالى بالفارسية ما عدا اليد، وقربه وبعده تعالى من عباده، ووقوفهم بين يديه، ومجاورتهم له، كل ذلك بلا كيف.

المناقشة:

س١ ـ ماذا تعرف عن سؤال القبر وعذابه؟

س٢ ـ هل يقدر الشيطان أن يسلب الإيمان من العبد ابتداء؟

س٣ ـ هل يمكن تكييف القرب والبعد لله تعالى؟

القول في تفاضل آيات القرآن

والقرآن منزل على رسول الله ﷺ، وهو في المصاحف مكتوب، وآيات القرآن في معنى الكلام كلها مستوية في الفضيلة والعظمة، إلا أن لبعضها فضيلة الذكر وفضيلة المذكور مثل آية الكرسي لأن المذكور فيها جلال الله تعالى وعظمته وصفاته، فاجتمعت فيها فضيلتان: فضيلة الذكر وفضيلة المذكور، ولبعضها فضيلة الذكر فحسب مثل قصة الكفار، وليس للمذكور فيها فضل وهم الكفار، وكذلك الأسماء والصفات كلها مستوية في العظمة والفضل لا تفاوت بينها.

اللغة: (جلال) هو العظمة ورفعة الشأن.

الشرح: القرآن هو كلام الله تعالى، منزل على رسول الله ﷺ، كما قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ﴾[1] والقرآن الذي هو كلام الله تعالى، هو هذا المكتوب في المصاحف بين أيدينا كما هو الإجماع على ذلك.

وآيات القرآن كلها مستوية في الفضيلة والعظمة كونها كلام الله تعالى، غير أن بعض الآيات لها فضيلة زائدة من حيث إنها كلام الله، وكونها تشتمل على ذكر أشياء لها فضل على غيرها مثل آية الكرسي، فهي كلام الله، وتشتمل على ذكر أمور مثل جلال الله تعالى وعظمته وبعض صفاته، فلها فضل على غيرها، بينما هناك بعض الآيات لها

---

(١) سورة النساء الآية (١٠٥).

فضيلة الذكر كونها كلام الله تعالى إلا أن المذكور فيها لا فضل له كالآيات التي فيها ذكر الكفار، فهي كلام الله تعالى ولكن الكفار المذكورين فيها ليس لهم فضل.

وكذلك أسماء الله وصفاته مستوية في الفضل والعظمة، ولكننا نقول: إن من هذه الأسماء ما يفضل على غيره، كما في حديث: «اسم الله الأعظم في ثلاث آيات...»[1] فهي تتفاضل كذلك كما تفاضل الكلام.

الخلاصة:

آيات القرآن متساوية في الفضل والعظمة، إلا أن لبعضها فضلا زائداً، وصفاته تعالى وأسماؤه متساوية في الفضل والعظمة إلا أن لبعضها فضلا؟

المناقشة:

س١ ـ هل تتفاوت آيات القرآن في الفضل؟

س٢ ـ هل تتفاوت أسماء الله تعالى وصفاته في الفضل؟

---

(١) الحاكم (٥٠٥/١) من حديث القاسم عن أبي أمامة وسكت عنه، والطبراني والبيهقي وغيرهما، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٢٨/١) رقم ٩٧٩.

أبناء رسول الله وبناته

وقاسم وطاهر وإبراهيم كانوا بني رسول الله ﷺ، وفاطمة ورقية وزينب وأم كلثوم كن جميعاً بنات رسول الله ﷺ. وإذا أشكل على الإنسان شيء من دقائق علم التوحيد، فإنه ينبغي له أن يعتقد في الحال ما هو الصواب عند الله تعالى إلى أن يجد عالماً فيسأله، ولا يسعه تأخير الطلب، ولا يعذر بالوقف فيه، ويكفر إن وقف، وخبر المعراج حق، من رده فهو مبتدع ضال.

اللغة: (أشكل) اشتبه (دقائق) المسائل الدقيقة وهي العويصة (المعراج) مفعال من العروج أي الصعود، وهو ما يصعد عليه.

الشرح: وأبناء النبي ﷺ هم: القاسم وبه كان يكنى، والطاهر ويقال له: الطيب ويقال: عبدالله، وهما ولداه من خديجة رضي الله عنها، وإبراهيم وهو ولده عليه الصلاة والسلام من أمته مارية التي أهداه إياها المقوقس ملك مصر، وليس له أولاد غيرهم رضي الله عنهم، وأما بناته فهن فاطمة زوج علي بن أبي طالب وأم الحسن والحسين رضي الله عنهم جميعاً، ورقية وهي زوج عثمان بن عفان، وأم كلثوم وتزوجها كذلك عثمان بعد وفاة رقية رضي الله عنهم، وزينب وتزوجها أبو العاص بن الربيع رضي الله عنه وكلهن بناته من خديجة رضي الله عنهن، وانتقل الإمام رحمه الله إلى مسألة أخرى وهي الكلام عما يجب على الإنسان إذا أشكل عليه شيء من مسائل التوحيد الدقيقة والعويصة فالواجب عليه أن يعتقد ما هو الصواب عند الله، كالجاهل الذي يسأل في أمر فيشكل عليه، فيوطن نفسه على اعتقاد ما هو حق

عند الله تعالى، إلى أن يجد عالماً فيسأله، ولا يجوز لـه التأخـر والتقاعس في السؤال والبحث.

وأما قوله بأنه (لا يعذر بالوقف) ففيـه تناقض مـع ماقبله، إلا إذا كان المقصود بالتوقف هنا هو التوقف في قبول الخـبر أو الأمر، فهـذا مما ينافي الإيمان حقاً، لكنه إن قبل الخبر أو الأمـر لكنه قـال أؤمنِ بما هـو الصواب عند الله تعالى. وذلك حتى يتمكن من السؤال والبحث، فهنـا يثبت إيمانه.

وأما خبر المعراج فهو حق ثـابت لا ينكره إلا مبتـدع ضال، وقـد أطبق أهل السنة على الإيمان به والقول به، ولم ينكره إلا المبتـدعة أهـل الضلال، لكنه حق.

الخلاصة:

كان للنبي ﷺ ثلاثة أولاد وأربع بنات، والواجب على كل إنسان اعتقـاد ما هـو الحق عند الله فيـما يستغلق عليه من مسـائـل التـوحيـد، ويجب الإيمان بخبر المعراج واعتقاد أنه حق.

المناقشة:

س١ ـ اذكر من هم أبناء رسول الله ﷺ وبناته؟

س٢ ـ مـا الـواجب عـلى الإنسـان إذا اشتبـه عليـه شيء من مســائـل التوحيد؟

س٣ ـ ما حكم من أنكر خبر المعراج؟

وخروج الدجال ويأجوج ومأجوج وطلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى عليه السلام من السماء وسائر علامات يوم القيامة على ما وردت به الأخبار الصحيحة حق كائن والله تعالى يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

اللغة: (سائر) جميع.

الشرح: ومما يؤمن به أهل السنة والجماعة ما وردت به النصوص من أشراط الساعة وعلاماتها ومنها خروج الدجال ويأجوج ومأجوج وطلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى عليه السلام من السماء وغيرها، وقد جمعها النبي ﷺ في قوله في الساعة: «إنها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات: الدخان، والدجال، والدابة، وطلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسى بن مريم، ويأجوج ومأجوج»[1] الحديث فكل هذه العلامات وغيرها مما وردت به الأخبار الصحيحة كله حق كائن ولا بد وذلك بمقتضى تصديقنا الخبر، والله تعالى يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٢٢٦/٤) ح٢٩١٠ في الفتن باب الآيات التي تكون قبل الساعة، وأحمد (٦/٤) وغيرهما من حديث أبي الطفيل عن حذيفة بن أسيد الغفاري.

الخلاصة:

يؤمن أهل السنة بسائر علامات الساعة التي وردت في الأخبار الصحيحة، وهي كائنة لا محالة.

المناقشة:

س١ ـ هل يجب الإيمان بعلامات الساعة الواردة في الأخبار؟
س٢ ـ اذكر بعضاً من علامات الساعة الواردة في الأخبار الصحيحة؟

الفهرس

الفهرس